

وحيد الدين بهاء الدين

مصطفى عبد اللطيف السحرتي ومنهجه في النقد الادبي

بقلم **وحيد الدين بهاء الدين**

* * *

في قراءات منوعة ، انتهيت الى ان مصطفى عبد اللطيف السحرتي شخصية باذخة من شخصيات الادب العربي المعاصر ...

تهيأ للسحرتي عبر خبرات مخصبة .. معطاء وخلال نصف قرن ، من اصالة الثقافة العربية والاوربية ودفق الاحساس الوجداني والذهني ، وعمق الرؤيا الفنية ، واستيعاب معاني الحياة ومكمونات الجمال والابداع ، ودوام الاطلالة والكشف ، اوفر الاسباب واقواها . قال عنه عبد الله عبد الجبار : « والسحرتي يجمع الى الشخصية الجذابة ، النبوغ الادبي الاصيل وهو من المؤمنين بالخير والحرية وحب التجديد في الادب .. »(١) .

كونت ثم بلورت مقومات هذه الشخصية ، منذ منتصف العشرينات ، عناصر واجواء شتى ، جادت بها المقادير والاحوال ، ناهيك بتيارات واتجاهات لئن اختلفت منابعها الحضارية ، فانها نهضت اول ما نهضت على ركائز ركينة وصحيحة من انجازات العقل الجبار والقلب الموحى .. اعني بهما : العلم والفن . فالسحرتي بما جبل عليه من ملكات ، وبما كسبه من امكانات ، جمع بين قولة الشعر الجانح معظمه الى العقلانية والتأملية ، وبين نزعة البحث الادبي المتصف بالمنهجية والموضوعية والتجرد . ولكن على الايام ، وبتلقائية ، اتضح جنوحه ، وتبدى تطلعه الى النقد البناء ، هذا الذي يقضي هضم مكونات الثقافة بابعادها واعماقها واحتضان الوجود الانساني بمفهوماته واشاراته ، اساسا له وارهاصا . وهو يقول : « وللنقد الادبي اليوم قضية مركبة عويصة تحتاج الى قضاة عدول صارمين في الحق ولا يساغ النقد بدفعة من دفعات العاطفة او نزوة من نزوات النفس او خطرة من خطرات الهوى ولا بلمحة من لمحات الذكاء بل لا بد من ضمير حي وبراءة من الميل وتجاوب معروح المنقود واقتران باثاره اقتران مودة والرجوع الى جوه وبيئته وشخصيته ودراية ذكية بالاصول النقدية واحدث مذاهب النقد المعاصرة واذا تعذر التجرد النفسي وعسرت الزمالة بالمنقود واستحال التكيف بالجو الذي شدا فيه الاثر الادبي وترعرع ، وتجوهلت شخصية المنقود وقلبت الزكانة بالقواعد النقدية فلن يصح نقد ولن ينصف منقود (٢) .

وسعى السحرتي بطاقاته المخزونة نحو النقد الادبي يؤدي وظيفة ويبغي هدفاً . بالرغم من ما قيل ويقال : ان الناقد اديب فاشل .. خائب ! لكن لا يمكن ان يكون في كثير من الاحوال ، لمثل هذا القول ، ظل من الصحة . فالنهضات الادبية في مسيرتها الدائبة ، نسفت هذا الادعاء واثبتت تهافته .. ثم ان الدليل وارد هنا على بطلانه .. ذلك هو السحرتي نفسه ..

انه اضافة الى ممارساته النقدية المتصلة ، المتمثلة في عديد من كتبه ك « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » و « شعر اليوم » و « النقد الادبي من خلال تجاربي » و « دراسات نقدية » و « ادب الطبيعة » . شاعر له ديوان عنوانه « ازهار الذكرى » مطبوع عام ١٩٤٣ ، وهو ايضا باحث من طراز ممتاز يؤمن بالتطور والتجدد حيث جسد براعته في تأليف الكتب القيمة منها : « شعراء مجددون » و « شعراء معاصرون » (٣) . و « الفن الادبي » و « التقدمية العربية والتقدميون » و « ايديولوجية عربية جديدة » ، وفي تدبيج روائع المباحث الفكرية والنفسية والاجتماعية والسياسية (٤) على نحو طغى معه من حيث القوة والروعة على ما نشره في مجال النقد الادبي .

ثم اذا صح ما قيل ويقال : ان الناقد اديب فاشل .. خائب ، فهل كان مارون عبود كذلك وهو الذي الف اوفى السير واعمقها كما تجلى ذلك في كتبه « امين الريحاني » و «رواد النهضة الحديثة » و « جدد وقدماء » ؟ وهل الناقد الدكتور محمد النويهي اديب فاشل وهو من هوفي استنباط « نفسية ابي نواس » و « شخصية بشار »من خلال اشعارهما ومفارقات حياتهما وظروفهما الموضوعية المحفوفة بهما وفي دراسة « الشعر الجاهلي » دراسة واعية .. جادة مبنية على النظريات الحديثة والرؤيا الفنية في التحليل الادبي المعمق ؟؟

وهل يعد الناقد الدكتور محمد مندور اديبا فاشلا

... خائبا ، وهو الذي وضع – الى جانب ابداعه في ميدان النقد – اكثف الدراسات الادبية عن ولي الدين يكن وعبد القادر المازني وخليل مطران والشعر المصري بعد شوقي ، وترجم كتبا مفيدة ... ممتعة من الفكر الفرنسي الى اللغة العربية ؟

ولكن ينبغي ان يقال والحالة هذه ، ان هؤلاء مارون عبود ومحمد النويهي ومحمد مندور ومعهم مصطفى السحرتي اشتهروا كنقاد اكثر من ما اشتهروا كأدباء ومفكرين . تلك حقيقة ينبغي ان يضعها الباحث في اعتباره حين يهم بالدراسة والمقارنة .

من هنا عرف السحرتي ناقدا مقتدرا ومفكرا واقعيا يعي مهمته ويعرف قدر نفسه وقدر الاخرين ، حتى بات له حجمه وحساب لهذا الحجم وما يشغله من فراغ في المجتمع الادبي ، كذلك بات له صوته وحساب لهذا الصوت وما يتركه من الصدى هنا وهناك . يقول عنه الدكتور محمد مندور : « وفي الحق ان السحرتي ، مفكر متزن وناقد مثقف اكثر منه شاعر وهو بطبيعته رجل واقعي اميل الى الهدوء والاتزان وابعد ما يكون عن الانفعالات العنيفة » (٥) .

والذي اراه ان شهرة السحرتي كناقد لم تكن طائرة .. طاغية الى اقصى الاماد ، وان كانت العبرة ليست في ذلك كله . قد تكون الشهرة زائفة مضللة لا تعتم ان تتلاشى من غير ان تترك وراءها اثرا ما .. ذلك ان السحرتي زاهد في مثل هذه الشهرة .. ناع عليها .. ناء عنها ، وعن من يخلقها من الهواة السعاة ، وعن ما يجسدها من اضواء خلابة .. خداعة طالما تخفي الحقيقة الداخلية للاشياء تحت ستار صفيق . انما نوه الدكتور محمد عبد المنعم بهذا بقوله : « وتاريخ حياة السحرتي التي عرفنا لمحات منها يدل على انه رجل عجيب ، يختلف عن الناس ، ويسمو على بيئته ويميل الى ان يعيش عيشة فكرية وروحية خالصة .. ولم يقبس من وراثته وبيئته الا ما اتسق مع هذا النزوع .. » (٦) .

ثم لا يجمل ان يغرب عن خاطرنا ان السحرتي لم يرد ولا يريد .. لم يحاول ولا يحاول في يوم ما ان يبني شهرته على انقاض الاخرين من الشعراء والادباء ، بعد تهديم كياناتهم الفكرية والقلمية بالمعول ، والتشهير بهم وبالتالي تمريغ سمعتهم بالوحل لسبب او لاخر ، كما فعل مثلا لا حصرا رمزي مفتاح في كتابه « رسائل النقد » وحبيب الزحلاوي في كتابيه « ادباء معاصرون » و « شيوخ الادب الحديث » ومصطفى صادق الرافعي في كتابه « تحت راية القرآن » وميخائيل نعيمة في بعض فصول كتابه « الغربال » وعباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازني في كتابهما « الديوان » ومن اليهم ..

بل كانت شهرة السحرتي كناقد اصيلة ... نقية ، لانه كان وما ينفك يعمل في المدار الذي يدور حوله والمجال الذي يجول فيه بصمت لا تهريج .. بنزاهة لا نفاق ... بايمان لا ضلال . كفاه ذلك فخرا . ولنسمع اليه ماذا يقول : « ان النقد الادبي من اعسر الامور واشقها لانه يتطلب ثقافة واسعة وموهبة فنية عالية ، وتنبها وجدانيا مرهفا وروحا سمحا متجردا عن اثار الميل والهوى .. » (٧) .

صحيح ان النقد الامثل خاضع لموازين واصول استنها الباحثون والعلماء وحددوها في تقويم الاثار الادبية والفكرية والفنية والعلمية . كما انه خاضع – قبل اي شيء وبعده – لقانون الاخلاق وعنصر الذوق والتأثر .. كل هذا كنتيجة طبيعية خرج منها هؤلاء بعد مزاولات شاقة .. طويلة وهم يتعاملون مع مختلف الانتاجات التي بين ايديهم ..

والدراسة الجادة لاثار السحرتي النقدية ضمانة لان تضع في ايدينا مفتاح شخصيته الذاتية المتوغلة في جذورها الاولى ، والمتأثرة بدوافعها الخفية ، في حين تدلنا ايضا على الخطوط العريضة لمنهجه في النقد الذي يطبقه ، ويترسم خطاه ، ولا يعرف له بديلا ، وان تخلله ، عبر مراحل التثقيف والتمرس ، تطور وتجدد .. على ان شخصيته الذاتية التي اليها احكامه واراؤه ، تتميز بروح الحيدة والنصفة ، وتحاشي الانفعالات والحساسيات ، والاتئاد في التوجيه بلا تعالم وتعال ، والحرص على تقويم الانتاج او النص كائنا ما كان من الاصالة او الضحالة ، والانهاض بصاحبه بالغا من بلغ من الذكاء او الغباء .. من هنا قال السحرتي : « والناقد العظيم هو من يتحلى دائما بنبالة الشعور والغاية ، كما يتسم برهافة الشعور والمشاركة الوجدانية للكاتب المنقود لامكان التعاطف مع ثمرات قلمه والتجاوب مع سمات عمله الادبي وخصائصه في رهافة الفنان ، وقد يكون اكثر رهافة منه واكثر سموا وارتفاعا » (٨) ..

معناه : ان السحرتي ملتزم بمثالية الاخلاق في عملياته النقدية المبراة من غزوات الاثرة ونزوات العقل ، انما تهمه الدعوة كمرشد وموجه ، الى تأصيل القيم النقدية الصحيحة ، وتطهير الاجواء الادبية الموبوءة من المفهومات الخاطئة والاعتبارات المعوقة لازدهار الادب والنقد والفن ، ثم تبيان الجوانب المضيئة والمعتمة ، المادية والروحية .. الانسانية واللاانسانية ، للانتاج المطروح على طاولة النقد ..

ذلك ما يتوخاه السحرتي في كلامه : « واود ان انبه الى ان الادب العربي في هذه الاونة في اشد الحاجة الى الناقد الكبير القلب الذي ينزع الى ابراز ما في اعمالنا الادبية المنوعة من اراء قيمة وتقنيات جديدة .. الناقد المثقف الذكي الذي يبغي تطوير الفكر العربي وتغيير العادات البالية التي تعيش في البيئة العربية ، الناقد الذي يدفع الادب المنتج الى الامام وينصف الشباب

الموهوب . وبمثل هذا الناقد يقوم التعاون الحقيقي بين الكاتب والناقد . ويزدهر الانتاج الادبي والفكري لخير المجتمع العربي الذي نتوق الى خيره وتقدمه واسعاده .. » (٩) .

من اجل هذا كله فللنقد عند السحرتي طرفان ، ينبغي القاء الضوء الكاشف عليهما من خلال الممارسة النقدية الايجابية الهادئة ، حتى لا يفقد اي منهما توازنه وتعادله من حيث المبدأ .. اما ايثار طرف على طرف اخر، كأن يفضل الشكل على المضمون وبالعكس ، اما الاغراق في طرف دون اخر ، كأن يركز على المضمون اكثر من الشكل وبالعكس ، اما الاقتصار على طرف من غير اتمامه بالطرف الاخر ، كأن يحصر في الايجابيات دون السلبيات وبالعكس ، اما ذلك فجور بقاعدة النقد الاولى وهي الامانة ، واشهار بافلاس الناقد ثقافيا ..

لنتأمل كيف ينقد السحرتي هذه المقطوعة وهي لا تحمل اسم صاحبها ، ولكن لعلها لصلاح عبد الصبور . يقول السحرتي في مقال له (١٠) : « كما تأثر بعض شعرائنا قبل ٥ يونيو (حزيران) بسلبية الشاعر الانجليزي ت.اس ايليوت وجاروه في بعض موضوعاته ومضامينه ، فرأينا شاعرا من شعرائنا يهيم بالاعراب عن الحزن والملل والسأم الى درجة ان جعل الانسان سيد الحياة لسآمته ، وفي ذلك يقول :

هذا زمان السأم
نفخ الاراجيل سأم
سأم
لاعمق للالم
لانه كالزيت فوق صفحة السأم
لا طعم للندم
لانهم لا يحملون الوزر الا لحظة ويهبط السأم
يغسلهم من رأسهم الى القدم

وفي اخر هذا المقطع يقول :

انسان هذا العصر سيد الحياة
لانه يعيشها سأم
يزنى بها سأم

وعلى هذا المنوال جرى عدد من شعرائنا وقصاصينا في هذا الفلك المظلم وقد شجبنا هذا النزوع الهابط لا لانه يؤثر في شخصية الكاتبين فحسب بل لانه يؤثر في ذهن القارىء وعقله الباطن تأثيرا سيئا ، وتمنينا عليهم ان يتجهوا الى ما يبعث في القلوب الامل والرضا بقبول ما في الحياة وان يتفاءلوا حتى في تشاؤمهم » .

هذا هو النقد الذي يرفض ان يقوم على اساس من التبخير وحده ، او التحقير وحده ، لا لشيء الا لانه لا يقبل التجزئة والتعميم والحكم الاعتباطي مهما يكن .. ان غدا كهذا تفرضه اخلاقية السحرتي ومن هم على شاكلته، قبل ان تفرضه قوانين النقد الادبي المعمول بها .. وانا مؤمن اشد الايمان بان هذه المقطوعة النثرية السقيمة لو مر بها ووقف عندها ناقد اخر لا يترفق ولا يتلطف كمارون عبود مثلا او عباس محمود العقاد او ميخائيل نعيمة لتركها لحما على عظم ..

اذن فالسحرتي في نقده يعامل ويعادل ... يعامل النص بهدوء ، فيأخذه بين يديه وهو متفائل به مسبقا . يتدبره مليا ويدرسه على مراحل من كل وجه ، حتى يتغلغل في اغواره ومشاربه ، ليدرك ما له وما عليه ،الى ان يتاح له اصدار رايه التقويمي او الحكمي بصدده ... ويعادل .. لانه لا يقصد من الحكم للنص الا الثناء ، وهو ايضا لا يقصد من الحكم على النص الاساءة ، بدون مقدمات كمن يخلط خلطا عجيبا بين الاثر المنقود وصاحبه ، ويربط بينهما بلا مسوغات الا الغرض في النفس .. ان النفس لامارة بالسوء ..

فالعطف واللطف والخلق والكياسة والطيبة قوام نقد السحرتي .. وبذلك يقول : « هذا هو المبدأ الاول الذي طبقناه ، هو مبدأ العطف على انتاج المبدعين وليس معنى العطف (الشفقة) بل معناه تقمص اعمالهم فنخرج من نفوسنا كما يقولون ونتوحد مع مشاعر الاخرين ... معناه : ان نضع قلوبنا واذهاننا مع ما نقرأ . وبهذا نصل الى قلوب وعقول الاخرين والى اراء شخصية واصيلة عن مبدعاتهم » (١١) .

مصداقا لما اراد وتعزيزا له ، يقول : « ويبدع سيد احمد الحردلو الفتى السوداني الشاعر في وصف فتاة تعمل في ضوء القمر على مغزل ، غامسا خواطره على المغزل وادوات الغزل ، فالمغزل يصبح بين يديها والقطن يحملق في عشق والفتلات من جمالها تشهق . وقد تناول القصيدة تناولا لطيفا ، طاعت له القافية الصعبة طواعية جلية وسار الروي سيرا متماسكا مرتبطا .. وفيهايقول:

كانت على مغزلها وكان يزهو الفسق
تلملم الفتلات والفتلات منها تشهق
مروع مبعثر محطم يحملق
في راحتيها يصرخ المغزل يمشي الالق
والقطعة الليلة القمراء زهر مورق ....
صبية مزهوة بخمس عشر تحرق
في صدرها يقال لي طفل شقي احمق
فتارة يبكي واخرى راقص مصفق

وبمثل هذه القصيدة الشهية تمكن هذا الشاعر من الاعراب عن خواطره الغرامية بطريقة ملفوفة بعيدة عن مباشرة التقليديين وعن تهويمات الرومانسيين واثبت ان الشعر المقفى قادر على التعبير عن الواقع في ابداع وجدة ، كما اثبت الشعر المقفى قدرته على الوصف والتصوير .. وصف الواقع المادي وتصويره ؛ او وصف ابناء الطبيعة وبناتها وحالات الانسان فيها او وصف الاحداث وغير ذلك من النواحي التي يضمها الشعر الوصفي . واحسب ان الشعر المقفى كان اقدر على التعبير

من الشعر المتحرر في هذه النواحي .. » (١٢)

اما المنهج الذي يزاوله السحرتي في النقد فيعتمد على قاعدة عريضة من حرية الاختيار النقدي . بمعنى : انه لا يركن الى نظرية ما ، فيكتفي بالوقوف عندها كما لو كان جامدا لا يتحرك . اليس هو القائل : « اننا لم نتقيد بمنهج من المناهج النقدية ولم نجمد موقفنا على نظرية نقدية بعينها ، بل سرنا في نقد الاعمال الادبية بحسب ما تمليه طبيعتها . ففي بعض نقدنا طاب لنا التفسير دون حكم وفي البعض الاخر جمعنا الى التفسير والتقويم وفي اغلب الاحايين جمعنا بين التفسير والتحليل والتقويم واعتمدنا في منهجنا بالمذهب الفني والواقعي فنظرنا الى جمالية العمل الادبي والى مضمونه والى ما يرفد فيه من هدف او رسالة .. » (١٣)

انما طبق السحرتي كما اراد النقد التفسيري بلا حكم تارة كما طبق النقد التفسيري والتحليليجامعابينهما حتى يتاح له تقويم الاثر المنقود تارة اخرى .. ذلك ما يحتمه العمل الادبي الصحيح من حيث طبيعته وظروف تكوينه وانتاجه .

واذا كان السحرتي يلتزم بالمذهب الواقعي ـ كما يريد ـ في ما ينقد ، فانه لا يريد ان ينظر الى كل من المضمون والصورة الا نظرة واحدة لا تقبل التجزئة كما نوهت، لانهما يستويان عنده .. فالعبرةفي القيمةالجمالية وواقعية المضمون واصالة الاداء وصدق التجربة .. من هنا قال : « ومحور المنهج العام ـ وقد درج السحرتي في معظم نقداته عليه ـ هو النظر الى ما في العمل الادبيمن تجربة او فكرة او حقيقة ومراعاة الوحدة الفنية وهياتصال الجزء بالاجزاء الاخرى مهما تكن عديدة ومتنوعة بحيث تؤدي هذه الاجزاء الى تأثير كلي ثم النظر الى الصفةالفنية للعمل الادبي وما فيه من حيوية وجدة وصدق فني ، وهذه الحيوية والجدة تنعكس من حيوية الفنان وثقافته اما الصدق الفني فمعياره اخلاص الفنان ونفاذ بصيرته وعدم وجود تناقض في ارائه .. » (١٤)

من اجل هذا فان السحرتي لم ينح هذا المنحى الواقعي الملتزم في نقداته ارتجالا وعشوائيا ، انما نحاه مدفوعا من داخله ، فكرا وشعورا ، ليأتي نقده مستوفيا لعناصره الفنية والتطبيقية ، ثم مقبولا من لدن الباحثين ومؤرخي الادب ، على تباين نزعاتهم وثقافاتهم .. هنا كان كتابه « النقد الادبي من خلال تجاربي » جامعا جمعا رائعا بين الجانبين : النظري والعملي ، وقد اشار الى هذا الدكتور بدوي طبانة ايضا . (١٥) .. كما ان كتبه الاخرى : « دراسات نقدية » و « شعر اليوم » و « ادب الطبيعة » وما اليها تتسم بهاتين الخصيصتين .. ولاورد مثالا ..

ينقد السحرتي المقطع الاخير من قصيدة « انشودة المطر » لبدر شاكر السياب فيقول :

ثم يكرر مطر مطر بعد ذلك بسطرين دون حاجة فيقول :

وكم ذرفنا ليلة الرحيل من دموع
ثم اعتللنا ـ خوف ان نلام ـ بالمطر
مطر .. مطر .

والسياب في تكرار هذه العبارات يذكرنا بادجار آلان بو في قصيدته « الغراب الاسود » وهو يكرر في فقرات القصيد صوت الغراب . والشاعرة الامريكية امي لويل في بعض قصائدها وغيرها من شعراء الشعر الحر ولكن التكرار في قصائد هؤلاء الشعراء لم يكن لذات التكرار بل لجدواه في انسياب النغم او تقوية المعنى او اراحة القارىء وما الى ذلك من جدوى التكرار .. ويخيل الي ان هذا الشاعر يقف طويلا عند المستوى التفسيري او التصويري في ابداع قصائده دون الاهتمام كثيرا بالمستوى الانفعالي وهو من الاهمية بمكان في عملية الخلق الشعري . ولا بد من انسجام المستويين في هذه العملية لايجاد الوحدة الفكرية وبلورة البناء الفني وهذا ما نلحظه فياغلب قصائده الشهيرة مثل قصيدته « قافلة الضياع» و « عرس في القرية » وفي قصائده الطويلة مثل قصيدته « المومس العمياء » و «حفار القبور» . فقارىء هذه القصائد قد يعجب بصناعة الشعر الفنية ولكنه لا يجد التصميم المتقن الذي يؤدي الى الفهم الواسع . وهذه خسارة كبيرة حبذا لو تلافاها هذا الشاعر النابغة » .(١٦)

وهذا مثال اخر ... يقول السحرتي وهو ينقد ديوان« عبير قلب » للشاعرة روحية القليني :

« فها هي ذي تقول في اخر قصيدتها « يا رب طال سجودي » وهي اول قصيدة في الديوان :

يا رب طال سجودي وامتد حتى السحر
اذا ذكرتك انسى نفسي وامر البشر
فلا ارى غير ربي ، اطيع ما قد امر
قد جل حبك ربي عما يبوح النظر

فهذه الابيات الاربعة مع نثريتها لا تجد في بعض عباراتها رونقا كمثل قولها (وامر البشر) وفي تركيب بعضابياتها وهنا في قولها :

فلا ارى غير ربي ما قد امر ..

وفي اخر بيت فيها تجد خطأ لغويا في قولها :

(يبوح النظر) ، ويبوح غير متعدية ..

ولا تجد تعليلا لهذا التهافت الذي لم نجده فيما اتينا به من نماذج جيدة سابقة الا هذا الكسل في المراجعة وانها كتبت مثل هذا المقطع في غير مبالاة .. وما كنا نحب الحديث في هذه الناحية ولكن دفعنا اليها توقنا الى تهذيب بعض عباراتها او الفاظها من التفاهة ليسلم شعرها من اية مؤاخذة ، وليسر سير النهر الصافي لا يكدر ماءه بعض الاعشاب ولا تقلقه بعض الاحجار ، وما

هذا بعزيز عليها اذا لم تتعجل التعبير ، فقد تخدش الاذن من عبارة او لفظة غير منتقاة في قصيدة جيدة فاذا اقتطعنا من قصيدتها « ليلة البدر » بعض ابياتها وجدنا ثمة عبارة او لفظة تخدش لطافة هذه الابيات ، ونمثل لذلك بقولها :

اخاف عليك من الهمس يسري   من الظن من لمحات البصر
ولو علم الناس انك وحيي   وسر الخيال وسر الفكر
لقالوا اتركوها تعاني جواها   لتخلق فنا عظيم الاثر
وتسبح في الافق عبر النسيم   تهيم بافكارها والنظر

فهذه الابيات الاربعة تسير في لطف وعذوبة ولكن كلمة (والنظر) ترنق هذا اللطف وتلك العذوبة لانها غريبة شوهاء ، اضطرتها اليها القافية .. » (١٧) .

متى ما ادركنا ان النقد العربي المعاصر قد تأثر الى ابعد درجات التأثر بمناهج النقد الغربي ، اتضح لنا السر في تدعيم السحرتي احكامه النقدية ، وفي تقويمه الفني للاثار التي يتناولها بالتحليل والبحث والموازنة ، باراء النقاد الاوروبيين والاميركيين ، هؤلاء الذين تمرسوا هذا الفن وعانوا مشكلاته وخاضوا تجاربه العسيرة . انه يقول: « ووجدنا من الغربيين من حمل على الشاعر العملاق شكسبير من امثال الكاتب الايرلندي برناردشو الذي قال: ان اراءه لا تساوي بنسين او من حمل على الشاعر الانجليزي شيلي . فقال انه شاعر ممل وهستيري وينبغي ان يشنق ووصمه اخر بالجنون وهو الشاعر العبقري والشخصية الثائرة المتحمسة التي اشتهرت بشجاعة ادبية رائعة .. ووجدنا في مصر من يحمل على شوقي وحافظ والرافعي والمنفلوطي وشكري او من يحمل على ناجي ومحمود ابو الوفا واحمد رامي وابو شادي حملات شنعاء تتنوع في دوافعها واسبابها وهي حملات تركت في المنقودين جروحا عميقة . واذا كان هذا البحث يتسع لذكر دوافع هذه الحملات في تفصيل فانه يمكن القول ان اغلب هذه الدوافع هي الغيرة والآنية والهستيريا وبعض العقد النفسية ، ولعل طائفة من هؤلاء النقاد العدوانيين المتهجمين على غيرهم ، كانوا كما يقول احد السيكولوجيين مصابين بعقدة اوديب ، فهم يجدون في الادباء بديلا من ابائهم المكروهين ، فيكتلون على الادباء حقدهم وينفثون على القرطاس سموم نفوسهم وسعار نزواتهم .. » (١٨).

ثم ان السحرتي ينعى على النقد المعاصر انحرافه . فهو اما نقد قائم على المدح المفرط واما نقد قائم على القدح المفرط . وكلاهما في الواقع خطران ، لا ينزلان من النفس الواعية الرصينة ، منزلة الرضا والقبول ، لانه يحمل بين اطوائه كل دلالات السلبية وهزال الخلفية الثقافية . هنا ما في رأي السحرتي من وجاهة حيث يقول : « واذا خول الكتاب الرواد لانفسهم الحق المطلق في التعبير عن نزواتهم وانفعالاتهم فلا يجوز لنا في هذا العصر ان نجاريهم في اطلاق العنان للقلم للاعراب عن نزوات حاملة لان ظروفا حكمت على الرواد بهذه الحرية الفضفاضة . فقد عاشوا في بيئة فردية وكانوا فرديين مغلقين يدينون بالمذهب الفردي ، اما كاتب اليوم الذي يعيش في عصر جماعي فملزم بان ينظر نظرة تعاونية واسعة ، ينظر قبل النظر الى اعتباره الذاتي واطلاق نزواته وبدواته ، الى مصلحة المجتمع وخيره وحضارته . لان كاتب اليوم ، وناقد اليوم اصبح مقيدا بحق المجتمع ، والشركة بينهما واقعة لا تدفع ولا خير للمجتمع في تلاوة هذا العبث المنافي للاعتبار الحضاري والقاموس الخلقي والقانون الوضعي . واذا كانت هذه الظاهرة النقدية المنحرفة قد خفت بل كادت تختفي فان تأميلنا وطيد في الجيل الحاضر الصاعد الذي يعتنق المذهب الجماعي في الادب في القضاء على هذه الظاهرة قضاء نهائيا ، وان يجعل التعاون الادبي مبدا اساسيا من مبادئه .. » (١٩) .

ويحمل السحرتي بعنف على النقد الغامض الذي لا يفضي الى نتيجة ملموسة بقوله : « وهناك ظاهرة نقدية عجيبة ، ظاهرة الغموض المتعمد او غير المتعمد في الكتابة النقدية . فانت اذ تقرا ما يكتب بعض الكتاب في مصر او سوريا او لبنان ، تقف حائرا من هذا الغموض المخالف لوظيفة النقد ، لان النقد كشف وتنوير لا تعمية وتضبيب، فاذا ابيح للادباء والشعراء النوابغ الباس بعض تجاربهم الانسانية برداء من الغموض نتيجة لخيالهم الخصب فانا لا نستطيع ان نفهم لماذا يلوذ بعض النقاد الى النقد الغامض المبهم ؟؟ للادب الواضح او الادب الغامض الا ان يكون هذا ضربا من الاستعلاء المرضي ونوعا من الشعوذة . .وكتابات هؤلاء النقاد الغامضين ، كتابات ما تكاد تسطر على القرطاس حتى تذهب جفاء كما يذهب الزبد ونكاد نلمح في هذه الكتابات الحلزونية المضطربة نفسية كاتبيها

---

(١) مقدمة (شعر اليوم) للسحرتي . (٢) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٥ للسحرتي . (٣) شاركه في التاليف هلال ناجي . (٤) انظ المجلال : (السياسة الاسبوعية . الطلبة المصريين. الاديب. السفير . المقتطف. الامام . الادب الحي. الرسالة. ادبي. الاصداء. كذلك انظر الصحف : البلاغ . الوادي وما اليها.) (٥) في الشعر المصري بعد شوقي ـ الحلقة الثالثة ـ للدكتور محمد منذور ص ٣٣ . (٦) دراسات في الادب العربي الحديث ومدارسه ص ٣١٥ للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي . (٧) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٥ للسحرتي . (٧) النقد الادبي من خلال تجاربي ص ١٥٣ للسحرتي . (٩) نفس المرجع . (١٠)مقال (بناء الاديب الجديد) مجلة الثقافة المصرية ع ٤ كانون الثاني١٩٧٤. (١١) النقد الادبي من خلال تجاربي ص ١٤ للسحرتي . (١٢) دراسات نقدية ص ٣٥ \ ٣٦ للسحرتي . (١٣) النقد الادبي من خلال تجاربي ص ٨ للسحرتي . (١٤) نفس المرجع ص ١٠ . (١٥)التيارات المعاصرة في النقد الادبي للدكتور بدوي طبانة . (١٦) شعر اليوم ص ٦٣ \ ٦٤ للسحرتي . (١٧) دراسات نقدية ص ١٠١ / ١٠٢للسحرتي (١٨) مقال (الوان من انحراف النقد الادبي) مجلة الثقافة المصرية ع ٢ تشرين الثاني ٩٧٣ . (١٩) نفس المرجع . (٢٠) نفس المرجع. (٢١) نفس المرجع .

اطياف الماضي

همت مع الذكرى وراء السراب   وعشت في اطيافها الساحره
ورنحت قلبي الاماني العذاب   وتيمتني اللذة العابره

همت مع الذكرى بروح هني   أرنو الى آفاقها الحالمه
فكيف تنسين شذا السوسن   اهكذا الميثاق يا ظالمه

فديت عينك وعطر الشفاه   فديت تلك الفتنة الطاغيه
يا ويلتا للقلب غامت رؤاه   هل عودة للحب يا لاهيه

هيا اقبلي نحوي وخلي الوشاة   ماذا سيجني اللائم الحاسد
فاننا نبقى بثغر الرواة   وحبنا على المدى خالد

بغداد   عبد الخالق فريد

تذكار الحب

طفح الشوق في صميم فؤادي   حيث اقضي المساء دون رقاد
وتمشى السهاد بين عيوني   فانا اليوم اشتكي من سهادي
لم تعد في الحياة اشواق روحي   غير رجع الصدى بجوف الوادي
والمناجاة في ظلال الاماسي   تتلاشى كنفخة في رماد
لا تجف الدموع في العين لما   غبت عني ... انالهوى في ازدياد
يولد الشوق في دمي، فيعروقي   كلهيب ما زاد غير اتقاد
فيحسيس النجوى،وهمس السواقي   احرقت خافقي شظايا البعاد
هتفت باسمها قياثر شعري   وهواها قد دب في انشادي
حالم بالرؤى ، بخفقة ضوء   واخضلال الربى بدنيا انفرادي
عرشت ذكرياتها في خيالي   وانتشى من رحيقها ميعادي
وطيوف الهوى، وسحر الاماني   نسجت في خيوطها ميلادي
وشجاني منها الجفاء ، ايبقى   لفؤادي الجفاء بالمرصاد

بغداد   خضر عباس الصالحي

العصابية التي لا تستقر على حال من القلق والاضطراب ..» (٢٠) .

مهما يكن من شيء فان السحرتي تتلبسه حال من الضيق والبرم والاشمئزاز حين يجد النقد الادبي المعاصر قد انحرف انحرافا عن خطه المرسوم له ، وتخلى عن وظيفته الاساسية التي وجدت من اجله ، ليحقق اغراضا رخيصة ومكاسب معينة لا تمت الى جوهر الفن ولا الى رسالة الناقد الفنان بصلة ما .. لذا تراه يقول بالحرف الواحد : « وكل ما نرجو ان يتخلص النقد الادبي الحاضر من بعض مظاهر الانحراف وان يرتفع الناقد على سمات النفاق والرياء والتحيز في بعض الاحيان او على سمات الكراهية والغيرة والانية احيانا اخرى وان يحاول كبح جموح نزواته وبدواته وانفعالاته النازلة عند النقد ليحقق شخصيته الطهورة المستقلة ، بهذا يسهم اسهاما ايجابيا في ازدهار الحركة الادبية التي نتوق اليها في الوقت الراهن . » (٢١) .

ثم ماذا ؟ ثم ليس من الغريب بعد هذا كله ان تصبح اراء السحرتي في النقد واصوله وقواعده ، وهي حصيلة تجارب خمسين عاما ، مؤشرات فارقة على درب الادب ، يهتدي بها نقاد الجيل الجديد والاجيال القابلة ،ويستعين بها من يشاء من العاملين في دائرة النقد الادبي ، على تقويم الاثر المراد نقده او القاء النور عليه .

بغداد   وحيد الدين بهاء الدين





بقلم عبد المجيد لطفي

قالت لي عند ناصية الزقاق وهي تقبل مسرعة ــ حذار ان تقطع النهر خوضا ، اذهب من فوق القنطرة . كن حذرا في ممر البساتين . انت تميز بالطبع بين الافاعي والضفادع هل فهمت !..

هززت راسي بقنوط وقلت ــ نعم يا امي ، سأعبر من فوق القنطرة، انني احب ذلك ..

ربتت عندئذ وهي تقفل راجعة على كتفي وتقول ــ ولا تطل الى النهر .. صحيح ان الحاجز اعلى من قامتك ... ولكن حذار ان تتمسك بالجدار وتتأمل النهر .

كنت الان في اخر المنعطف ،شيء مثل الدوار يخض راسي ، قبل اسبوع كنت محموما قالوا بسبب اللعب في الشمس حاولت تجنب الشمس وبلغت عنق القنطرة ..

ما أروع هذا الفتى في السابعة من عمره في تلك المدينة الصغيرة الجميلة الوادعة يشطرها ــ نهر الوند ــ شطرين في حين يكتظ الجانب الايسر بالمئات من البساتين ولنا هناك واحدة بستان من سبعة دوانم فيها احراش من القصب وبركة عميقة من تجمع الجدول العريض المجاور ..

انهيت القنطرة وبدات صعدا مرة اخرى ثم انعطفت يمينا ، اعرف الطريق بشكل جيد، وقطعت للوصول الى البستان نحوا من ثلاثة كيلومترات واجتزت قناطر ضيقة حفرتها حوافر الدواب ... واذ غدوت عند سور البستان والباب الكبير دون بوابة بدأت اردد طلب امي ، اقول للبستاني ــ امي تريد سلتين من الطماطم الجيدة للعصير ، انه الموسم الملائم لعصير الطماطم ، يجب الا يعود بدون ذلك ... نقحت الكلمات اكثر ، وضعت فيها ما اعتقدت انه ضروري لكي لا يؤجل ..

تجنبت طريق الخنازير ، ابتعدت عن اكمة القصب باوراقها الحادة تلعب بها الريح الشمالية كما تلاعب اكف المهرة من اللاعبين سيوفا نحيلة ...

ما كاد البستاني يراني وهو يتناول قطعة من الخبز بقليل من الجبن حتى قال بما يشبه الغضب ــ لم جئت ؟ .. قلت ــ امي ارسلتني من اجل سلتي الطماطم ..

نفض « خورشيد » يده مما يأكل ومسح وجهه المشعر الهزيل براحته وقال ــ يا لامك من امراة تكلف صبيا بما لا ضرورة له . لقد قلت لها انني سأحضر الطماطم هذا اليوم واقسمت على ذلك ، وها قد فعلت. هي ذي كومة الطماطم الممتازة هيا شاركني في تعبئة السلتين ..

فرغنا من ذلك بعد حين .. كانت الشمس الان قد صارت في كبد السماء ، جارة قائظة وبراقة ..

جاء بالحمار الاسمر المبقع وبقوة او ممارسة يمتاز بها الفلاحون شد السلة الاولى والحمار متكيء الى شجرة توت ثم ارفقها بالاخرى ولاح لي ان الحمل ثقيل على حمار عجوز لا يكف عن العمل يوما واحدا ولكن خورشيد صاح بي ..

ــ هل تستطيع العودة الى المدينة ام انك متعب ، وانت ترى ان الحمار يتوء بحمله ولا استطيع ان اضيفك اليه ! ..

قلت : سأمشي .. لقد استرحت خلال تعبئة السلتين .

قال : هيا اذن ، وساق الحمار الذي سلك الطريق التي يعرفها الى الباب ... كان خورشيد طويلا نحيلا مكلفا بعائلة كبيرة امه تخبز واخوته يبيعون الخبز ويعملون اعمالا متقطعة وكان في نظري عملاقا ... حقا كان كذلك ، يعلو قامتي ثلاث مرات .

عندما كان علينا ان ننعطف يسارا نحو القنطرة لاح النهر صافيا براقا بشيء من الزبد الابيض يتكسر على بعض الصخور الكبيرة البارزة وسط النهر وقال : الطريق الى القنطرة يأخذ وقتا أطول ، سنخوض من هنا ... انت تعرف كبقية الاطفال ان النهر هنا ضحل ولكنه حاد ..امسك بالشد الجلدي في مؤخرة الحمار وانا اوازن السلتين وامسك بهما .. هل فهمت .

ــ فهمت ولكن امي قالت ــ لا تعبر النهر خوضا سيأخذك التيار .

قال ــ امك جاهلة تخاف عليك كبقية الامهات ، هيا وسأجعل منك هذه المرة رجلا ..

كان يمسك بالسلة اليسرى بحذر والحمار يتحدر الساحل الرملي الايسر للنهر ، وكان الماء لطيفا باردا بعد ما قاست قدماي من حرارة الطريق الذي كنت اتقافز فيه على تجمعات العشب القليلة المتناثرة اتقاء التراب اللاهب ...

اجتزنا منتصف ــ نهر الوند ــ وسلسلة البساتين تتوارى لتأتي الدور الصهباء المغبرة متكاتفة متكئة على بعضها ولكن النهر حين يكون ضحلا في منتصفه يأخذ خطورته في الثلث الاخير في المنعطف يأخذ النهر عمقا اكثر وتيارا اشد وليست المسافة طويلة ، نحوا من ثمانية امتار ، سورة النهر وقوة تياره العاصف في المنحدر ..

بدأ الحمار يترنح، كان متعباجدا وتوقف لحظة كانما اصيب بالدوار

ثم واصل العبور بعد ان نخزه خورشيد في مؤخرته حتى طفر منها الدم .. كان كفل الحمار هزيلا ... شعرت بالاشفاق عليه ورحت ارى بقعة الدم التي تكبر .. ثم شعرت ان يدي تنزلق من الجلدة .. وحملني التيار ... لم نكن بعيدين عن الشاطىء ولكني شعرت بالماء يملؤني .. وبسرعة خارقة اقبل خورشيد شاتما لاعنا بلادتي وبؤس طفولتي الرخوة وانتشلني واضعا اياي على عاتقه المبلل وهو يقول ـ لقد ضاعت الطماطم ، الجهد كله ذهب للنهر ، ولكن سرعان ما تبدلت لهجته المرة وهو يرى الحمار ينجو بالسلتين صاعدا الساحل الرملي الحاد ثم يقف كانه يتنفس الصعداء .

... اكثر من ستين سنة مضت على هذه الذكرى ، الصورة التي لا تبرح الذهن ، في السبعين من العمر ، اردت ان اقضي عيد الميلاد في مسقط راسي ، ذهبت الى المدينة الرائعة الخضراء ، نزلت احد الفنادق المطلة على السوق ... كنت وحدي اقضي عيد ميلادي السبعين حيث ولدت ...

كان حزيران اخف وطأة هذه المرة ، لا ادري مقدار الحرارة في ضحى النهار ولكني تابعت طريقي مع سيف النهر حتى بلغت منعطف التيار الحاد في اخر المدينة ... توسعت الدور وتضاءلت البساتين وظل المنعطف في كبرياء التيار الضارب الى الخضرة الرمادية ، جلست في البقعة التي كدت ان اغرق فيها قبل اكثر من ستين سنة ، يا له من زمن حاد التيار هو ايضا ، بكيت ، تألمت لعنت خورشيد في قبره المجهول لانه لم يتركني للتيار ، انقذني لاواجه اكثر من ستين سنة اخرى ، اية بهجة في ما حصل ؟.. اي نفع لانني عشت ، قاتلت، انتصرت انهزمت وكابرت وها انذا جلدة مغضنة .. لو انه امسك بالسلتين ونسيني .. ربما كان الامر افضل ..

لبكت امي ثم نسيتني وماتت كما يموت كل شيء !

على عدوة قليلة كان بعض الصغار يلقون الصنانير في شغف لاصطياد سمكات ذهبية فاقعة ذات حراشف سود .. لذيذة ورائعة حين تطهى بالبهار .. وفي اللحظة التي كنت ارقب بها فلاحا يعبر النهر فوق اتانه صوب البساتين ارتكع صراخ الصبية

ـ محمود يغرق . اخذه التيار ، يغرق ... عمي ، محمود يغرق !

ونظرت الى حيث اشاروا ، رأيت محمود ، كان صبيا في السابعة من عمره وكان اكثر حرصا على الحياة، كان يكافح ببطولة للوصول الى صخرة قريبة ... لم احرك ساكنا ، ظللت اتأمل الموقف كانني امام تلفزيون ملون ... وقفز راكب الاتان وركض مع التيار ، حمل الصبي ، وضعه على عاتقه وجاء به الى الساحل .. سلمه برفق الى صديقيه دون ان ينبس كلمة واحدة وواصل عبور النهر خوضا الى الجانب الاخر ليلتحق باتانه التي عبرت واخذت ترعى عشبا نضرا في المنحدر .

اخذت هذه المرة انظر الى الطفل ، كان شاحبا ، اسود الشعر ناصع الجبين .. وكان يتململ بحذر على حصباء الشاطىء في حين كانت صنارة احد صديقيه قد علقت بسمكة ...

تنهدت ، كانت سمكة ذهبية براقة وباهتة وحراشفها سوداء ، عبر اكثر من ستين سنة وهذا السمك هنا ، ينمو ، ويقع في الصنانير ويؤكل .!

صار الاولاد الثلاثة معا ينظرون الى وجهي باستغراب والى لحيتي القطنية باحترام .. ولم اقل شيئا فهوذا صبي اخر ينقذه قدره من تيار المنعطف ... كم سيعيش ؟وهل سينازع مكابرا ، يتطاول .. يغضب .. يكتب !... يحترف مئة مهنة من اجل الخبز ؟ ..

هل تجرح جبهته الناصعة ويملأ الجرح بالرماد ؟ .. هل سيفاجيء الحياة بقوة التحدي الخارقة ؟.. يواصل !

اجل وكنت اواصل طريق العودة، وعندما صرت عند ناصية القنطرة بدات اتسلق ، اعبر حدبة تلك القنطرة الطويلة من حجر الجبال بتأمل وبطء .

لقد حذرتني امي الا اقطع « نهر الوند » خوضا ، ان اعبره من فوق القنطرة ..

وها قد فعلت !

بغداد — عبد المجيد لطفي

تعب

●

دعيني اشرب من النهوند — فاني تعبت من اليقظات
وجرح عقيق يلح علي — فيوقظ ما نام من ذكرياتي
ولما وجدتك قلت لقلبي — افق من غوى.. فهي نعمى الحياة
الا حدثيني.. الم اك طفلا — وديعا تعلق بالترهات
بنيت على الماء احلى القصور — فواخجلتاه من الامنيات
دعيني اشرب من النهوند — فاني تعبت من اليقظات

حلب — علي الزيبق

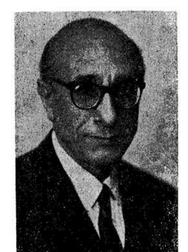
مصرع الشمس

●

بكيت عليها ام بكيت على نحسي كلاالجانبين استغرق الجهدفي بؤسي
ايا حاجة النفس الملح بقاؤها شديد على نفسي انتزاعك من نفسي
كأني الذي قدمت لا انت فالاسى يفتتني كالزاد يطحن بالضرس
اذا ارتحت من سكب الدموع هنيهة تأوهت من وقع المطارق في رأسي
تسيرين عني لا لأم ولا اب واخت كما قد كنت تنأين بالامس
ولكن لقبر كلما لاح طيفه بفيهبه الداجي ، تغيبت عن حسي
تذوبين فيه مثلما ذبت في الورى عليك اسى،ياقرب تعسك من تعسي
لذاتك ــ واحر اللذات ــ يهجنني اذا مسن كالريحان في حلل العرس
فاذكر اما كنت فيهن قدوة يقلدن ما تأتين في الجهر والهمس
واسأل لم عوجلت في الرمس بغتة وما حان في عهد الصبا زمن الرمس
فيا مصرعا للشمسفي رونق الضحى شهدت لقدراع الحجامصرع الشمس
ويا لجفاف النهر ، والقيظ لافح وقد ذاب من حر الصدى ذابلالغرس

خلقت قنوعا اقطع العمر راضيا بصحبة عيش فيالورىخافت الجرس
افر من الاعباء اطرح حملها على الناس ، لاعزمي وطيد ولا بأسي
؛زوجي ما زوجي! درت ضعفحيلتي واني للهيجاء امضي بلا ترس
فاذكت لظى عزمي وهاجت حميتي واطلقت الآمال من ربقة الحبس
فتابعت خطوي مشرئبا لغايتي ونهنهت من خوفي ،وكامنتمنهجسي
اذا اشتدت الباساء بي فاض ثغرها بنور ابتسام يذهب الضيق عن نفسي
وان غالبتني عقدة عصفت بها بايسر ما تجري الانامل من لمس
كان حنان الله في بسماتها يبيد صعابا قد تعاون في نكسي
تطوف طواف النور حولي رشيقة فانسى عناء اليوم اذ حان ما ينسى
اكليتي اغدو ، فأمنى بوحشة واسعى الى بيتي فيرتد لي انسي
ترف العشيات البهيجة فرحة فانهل من لهوي وارتاح من درسي
فيا حسرة للنفس تبكي شهيدة مطهرة الاسرار ناصعة الطرس
اذاك الجبين الطلق يطفأ نوره وكان يشع الحسن في عالم الانس
اذاك القوام اللدن يقصفه الردى وكان نضير العود مزدهر الميس
اهذا الصبا الفينان يطمس في الثرى بأعجل ما تدهى المقادير من طمس
أهذا مصير الحسن في الكون ؟ويحها شجونا دعت اهل التفاؤل لليأس
وساوس تأتيني فأهذر كالذي تخبطه الشيطان في الارض بالمس
تناسى اناس ما امض نفوسهم ولي ذكريات عنك تاتي بما يؤسي
اذا خفف النسيان اشجان معشر فاني من الاشجان قد اترعت كأسي

كلية اللغة العربية ــ الرياض
محمد رجب البيومي



محمد اديب العامري

فلسطين الثائرة

بقلم محمد اديب العامري

* * *

معظم العناصر الاساسية اللازمة لعمل مسرحي حديث كانت وما تزال متوافرة في مسرحيات الشاعر الكبير الاستاذ عدنان مردم بك . فليس من مسرحية الا ولها « فكرة » او « هدف » ، وان كان هذا الهدف احيانا لا يقطع بغاية واضحة او مسايرة لمتطلبات المسرحية وتاريخها .

واذا تابع القارىء انتاج شاعرنا من المسرحيات ، فالارجح انه يوافق على ان لمسرحياته هدفا ايجابيا ، الا ، ربما ، من الهدف الذي ترمي اليه مسرحية مثل « رابعة العدوية »، ومع ذلك فان هذه المسرحية لا تقل عن زميلاتها جمالا واكتمالا .

وسواء اهمتنا الفكرة ام لم تهم ، وليس من فنان اصيل الا وفكرته مبثوثة بفنه ، فان العنصر الاساسي الاخر في مسرحيات عدنان مردم ، وهو العرض او « الحبكة » ، يظل في نظري اقوى ما في مسرحياته . وسنرى بعد قليل كيف تمثل مسرحية اليوم هذا العنصر الاساسي خير تمثيل واحسنه .

فاذا تجاوزت هذا وذاك الى الاشخاص ، او « الشخوص » ، الذين خلق الشاعر بعضهم في المسرحية الجديدة وحرك بعضا ، فانهم واضحون كل الوضوح ، وانفعالهم امامك على القرطاس ، او على المسرح حين ترى هذه المسرحية النور على المسرح، وترتيب الفصول والمشاهد متسلسل مترابط ، لولاملاحظة مهمة تتعلق بالتوالي الواقعي للمناظر على المسرح ، مما سنعرض له عما قليل ايضا .

اما طول المسرحية « فلسطين الثائرة » فهو ١٢٥ صفحة من القطع المتوسط الذي يحتاج تمثيله الى نحو ساعتين على المسرح ، وذلك اذا ازيلت من المسرحية بعض العوائق الديكورية التي لا بد من ازالتها . وهذا الطول ينم على تصميم ، وهو ملائم ومطابق لطول المسرحيات السابقة منذ « غادة افاميا » (١٩٦٧) الى مسرحيتنا هذه (١٩٧٤). فمسرحيات عدنان مردم المطبوعة اصبحت الان سبعا صدرت خلال سبع سنين ، واحدة كل سنة . وعدد فصول مسرحيتنا الحالية اربعة ، وهي لا تشذ في هذا عن عدد فصول المسرحيات السابقة . وتتوزع الفصول الاربعة فيما بينها مسرحيتنا الحالية توزعا متقاربا ، وان لم يكن متساويا ، وهو تفنن استسيغه بل استحسنه للقارىء والمشاهد جميعا .

وتصدر مسرحية « فلسطين الثائرة »في وقت ملائم . فالفلسطينيون قد اثبتوا وجودهم وبطولتهم في حلبة الصراع الحاسم ، وهذا يغري الباحثين بالرجوع الى اصول النضال السابق لهذا الشعب الذي نسجت حول وطنيته شباك المفتريات والاضاليل التي كان يحيكها الاستعمار والصهيونية فيقع في شركها ناس من الامة العربية .

وقد اختار عدنان مردم معلما بارزا من معالم النضال الفلسطيني في ذروته الاولى (١٩٤٨) يوم تحول الشعب الفلسطيني الى الصهيونية المعتدية الجامحة والاستعمار الباغي المتحيز ، فاختار المؤلف الشاعر « وقعة القسطل » التي استشهد فيها المرحوم البطل الثائر عبد القادر الحسيني . وظهرت المسرحية في وقت قريب من الاحتفال السنوي بذكرى هذا البطل الخالد (٨ - ٤ - ٤٨) . وبهذا ايضا وقع عدنان على موضوع ضخم يشبه مواضيعه السابقة في مسرحياته السالفة ، وهو البحث عن مأساة توطىء اكنافها لصراع مأساوي يهز المشاعر ويؤدي فيه الدور الرئيسي بطل يذهب ضحية هذا الصراع .

فاذا اقتربنا من المسرحية فان فصولها عامة تتناول الفرقاء الثلاثة الذين فرض عليهم النزاع او اقتحموه افتراء وعدوانا ، وهم العرب والبريطان والصهيونيون .

اما العرب فيمثلهم عدد من رجال التشكيل السري لمناضلي الجهاد المقدس الذين كان يتزعمهم عبد القادر الحسيني . ويشمل هذا العدد الدكتور قاسم الريماوي الوزير السابق والعضو الحالي في مجلس النواب الاردني، ومنهم المناضل الشهير المرحوم ابراهيم ابو دية وعادل النجار وعزمي الجاعوني وغيرهم . ومنهم المناضلة الحقيقية الصابرة السيدة ام موسى قرينة الشهيد التي تقيم الان في القاهرة .

واما البريطان فيتمثلون بجنود ثلاثة يقوم احدهم بدور الفئة الاستعمارية الغاشمة التي كانت تقول بـ « حق الفتح » وتنحاز للصهيونية ، ويمثل الثاني الفئة القليلة العدد التي كانت تعطف على قضية العرب الفلسطينيين ، كما يمثل الثالث الفئة غير المبالية التي كانت تنفذ ما تؤمر به .

ويمثل الصهيونيين ثلاثة شخوص يسمى احدهم « مناحم » الذي يبدو معتدل العداء للعرب ، وحبذا لو جعله الشاعر المؤلف العدو اللدود ، انسجاما مع الواقع الذي عرف به السفاح مناحم بيجن مرتكب مذبحة دير ياسين . ويسمى الثاني « مردخان » (وحبذا لو قيل مردخاي) وهو شديد الكراهية والعداء للعرب . والثالث هو « دافيد » وهو صيهيوني معتدل « حمائمي النزعة ».

وتتلبس الشخصيات العربية في المسرحية اسماءها الحقيقية ، كما اشرنا ، وغيرها من الشخوص التي ابتدعها المؤلف ، لبوسها في نسق موحد منتظم خلال المسرحية كلها ، فلا يتناقض رأي لشخص ،رجلا كان او امرأة ، مع نفسه في ابعاد المسرحية المترامية نسبيا ،ولذا تظل الوحدة في ترابطها والتناسق في سياقها قائمين من البداية الى النهاية ، وهي عملية شاقة دقيقة يستحق النجاح فيها كل تقدير واعجاب .

ويظل العرض المسرحي في توازنه وتكامله عند شاعرنا اقوى نواحي انتاجه في هذه المسرحية « ثورة فلسطين » كما في غيرها . فالعارضة قوية والسبك متين والمعاني مترابطة لا تعثر فيها ولا جهد ، واللغة ناصعة والمفردات واسعة يستخرجها الشاعر من حافظة حادة فيجيء احيانا بالغريب منها ، ولكن هذا يقع ضمن بيت الشعر الموقع الملائم دون تنافر او تهافت . وهذه المفردات الغريبة (وهي قليلة) مشروحة في ذيول الصفحات ،تقع عليها العين في يسر تمكن منه الطباعة الانيقة والحروف الواضحة .

وليس من السهل في مطالعة موجزة كهذه ان يورد المرء نماذج مستفيضة من « العرض » . وقراءة المسرحية على مهل فيها الجواب الصحيح لهذا التطلع .

فالشاعر يقول على لسان الجندي البريطاني جون (ص ١٩) ، وهو يبرر شكوى العرب من الصهيونية والاستعمار :

ما كان شكوى الناس عن عبث ولم يك عن ضلال
سئموا الاذى سام العليل (القدس) ساحا للقتال
هل كان عدلا ان تحول لواعج الداء العضال

فاذا جاء وقت العنجهية الاستعمارية والنظرات الشوقينية البغيضة المغلوطة ، قال البريطاني شارل :

الارض تؤخذ عنوة بشبا السلاح وتقتسم
تجنى بحق الفتح للاقوى كفيء من نعم
نحن الاولى ملكوا الديار بباسهم دون الامم

ومع ان لهذا الشعر زوايا يرى منها جماله المؤتلف ، فالقصد من ايراد نموذج منه هنا هو ابراز العرض المتين المتسلسل . ومع ذلك فقد يطول هذا العرض احيانا على لسان شخص من الشخوص الى حد تحس معه ان الايجاز فيه كان اولى ، ولكن هذا لا ينقص شيئا من الوضوح والوحدة ، والالتحام في السبك ، والسلاسة في الصياغة، التي تأتلف جميعا في وحدة جمالية تتسم احيانا بمبسم الرومانسية .

واذا جاءت « الفكرة » الايجابية التي ننتظر استهدافها في هذه المسرحية فالشاعر المؤلف والحق يقال لا يبدو كعادته ايجابي الالتزام الى حد كاف ، واذا التزم فلا يقطع باداة حادة يفصل فيها بين ما يراد وما لا يراد .
اجل لقد نجح كل النجاح في ان ينطق شخوصه بما يقلق ويثير ، ولكن هذه الشخوص ظلت تروح وتغدو دون ان تبلغ بنا موقف العقدة المأساوية ذات العبرة (بكسر العين) المؤثرة . لكأن المؤلف يخليك هنا وشأنك لتختار طريقك ، دون حماسة ، ولكنه مع ذلك يظل ممسكا بحبل المذهب الوطني الاخلاقي .

ان مسرحية « فلسطين الثائرة » كما اصدرها شاعرنا المجيد تصوير صادق للواقع ، وهي نتيجة دراسة متعمقة للاحداث والناس ، ولكن مكان العقدة المأساوية فيها لا يهزك ولا يحبس انفاسك ، بل يمر بك مر الموجة الرخية التي تتكسر على شاطيء رملي ، ثم تنساب الى نهايتها دون ان تخيفك او تثيرك او تبكيك او تحفزك بقوة الى ما يدفعك في الطريق الذي ضحى من اجله البطل ، مع ان صراع عبد القادر الحسيني مع نفسه ومع بني قومه حمل الكثيرين على القول بانه اقتحم غمار الموت اقتحاما يشبه الانتحار ، يستشهد في اسلوب يضيء الطريق لمن بعده .

ولقد اجاد المؤلف كثيرا في اثارة عاطفتنا عندما ودع البطل زوجته واولاده (ص ١٠٧) ووصف صبر الزوجة (ام موسى) وتشجيعها لزوجها لاقتحام معركة كان هاجسها يهمس بان لا عودة له منها . قالت :

لا ، لن ائبط همة الزوج المفدى بالعويل
اني سامسح عبرتي بسماحة ، لا عن دحول
واقول هاتفة لزوجي سر ودافع دون غيل

والدحول هي الاحقاد والثارات ، جمع ذحل ،وهي من الالفاظ النادرة التي اشرنا اليها والتي ينزلها المؤلف منازلها دون نبو او قلق .

وتقول صديقتها ام بسام :

لا تفجع اللهم ابطالا بوالدهم ، ولا شعبا بقائد

وتكون آخر كلمات البطل الشهيد عبد القادر هي :

نبغي الجهاد لغاية مثلى ودفع مظالم
ونريد تنبيه النيام الى البلاء الجاثم
سنشيد من دمنا المنار لراحل ولقادم
احبب بان نرد الردى طوعا لصون محارم

ومع ان السبك سائغ جميل كما ترى ، فان المسرحية

شقاء النعيم

انا من نعيمي في شقاء حذرا عليه وفي عناء
وأد النعيم الناعم الاطراف اسباب الهناء
وهوى الحسود يطوف حول هناءة جلبت شقاء
كم كان حرماني يعللني بدان من رخاء
ولكم سبحت مع الخيال وجبت اجواز الفضاء
لارى بعين تخيلي دنيا مفضضة الرواء
فتانة تفتر عن در يتيه على السناء
واروح ابدع ما اصور من افانين الجزاء
حتى اذا اكتمل النعيم وجزت بيداء العناء
القيت حمل شقاوتي مستقبلا زاهي الضياء
ورشفت من عذب النعيم رغيبة وشفيت داء
ثم انثنيت اعوذ بالرحمن من فيض العطاء
حذار عليه من العوادي مرة ، ومن الفناء
وابيت وسنان المنام واين من وسني الشفاء
فلكل امر غاية هيهات للنعمى بقاء
ولقيتني نهب الاسى وانا المنعم بالهناء
ولقيتني انعى صباباتي واهمس في حياء
انا من نعيمي في شقاء حذرا عليه ، وفي عناء

القاهرة — احمد عبد المجيد

تنتهي هنا دون ان تتعرض لخلاف عبد القادر مع اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية ، ولا تصف المعركة ولا طريقة الاستشهاد ، بما فيها من عملية التضحية التي برزت في اندفاع البطل الى المعركة . هذا ولا ينتهي الصراع بتصميم من احد على نشر دعوة البطل ، مع ان مثل هذا كان خليقا بان يؤدي الى الغطة الايجابية المطلوبة. وطريقة استشهاد عبد القادر تتيح دون اعمال جميع العناصر اللازمة لعقدة المأساة على صورة متفردة .

وهذا المعنى نفسه لا يغيب عن المؤلف الشاعر القدير ، ولكنه في نظري لا يستغله في الصراع الهائل الذي كانت تعتلج به نفس البطل . وهو (اي المؤلف) يغذي دور البطل بالاوصاف السياسية التي كانت تفرق العرب يومئذ (١٩٤٨) وتضعهم موضع التقصير المزري في تزويد المجاهدين بالسلاح ، كما يغذي المؤلف هذا الدور بالمعاني الاجتماعية السائدة آنئذ ، وعواطف العربي والمحبة ، ولكن ذلك كله ينتهي قبل ان نذرف دمعة على البطل في استشهاده او نبكي في جنازته او مراسم دفنه (في المسجد الاقصى) .

وثمة ملاحظة بسيطة حول التقنية اللازمة لاخراج المسرحية ، فقد عدد شاعرنا الكبير المشاهد بحيث لا يستطيع المخرج ان يخرج المسرحية دون جهد بالغ في تنظيم الديكور المطلوب والنشر والطي اللازمين للستائر والكواليس ، الى حد قد لا يشجع المخرج على الاخراج، الا اذا احدث تعديلا في بناء المسرحية ، واكثر المخرجين لا يستطيع ذلك . ويعوز النص بعض الارشادات المسرحية التي تشير الى حركة الممثلين او سكونهم والى قعودهم او قيامهم ... الخ ، اذ من شأن هذا ان يحرك ذهن القارىء وخياله .

وفي النهاية ارجو ان لا تعد ملاحظاتنا على المسرحية، التي ارجو ان تمثل على كل مسرح عربي ، سوى تعليق على هامش البناء الشامخ الذي اقامه عدنان مردم . وهنا اذكر دراسة الاستاذ عدنان بن ذريل لمسرحيات شاعرنا الذي وضعه في صف مع احمد شوقي وعزيز اباظه . والواقع ان عدنان يقع عندي في قوة عرضه وحسن سبكه ومتانة بنائه في الموضع الذي احله فيه الاستاذ ابن ذريل .

عمان ــ الاردن — محمد اديب العامري

بهاء الدين العاملي من هو ؟

بقلم عيسى ميخائيل سابا

* * *

في المؤتمر الالفي الذي دعت اليه جامعة بهلوي في شيراز من اعمال ايران سألني بعض الاخوان عمن نحن بصدد الكلام عنه أهو فارسي ام عربي ؟ فاحلتهم على العلامة الدكتور صلاح الدين المنجد المتخصص بالمخطوطات ، وامكنة وجودها ، وكان من المجلين في المؤتمر وقد تكلم عن مخطوطات كتاب سيبويه في العالم مع ملاحظات عن طبعة « الكتاب » الاخيرة ولا اعلم ما كان من امره وامرهم . وهاءنذا اقدم حسب الوعد ما وقعت عليه اثناء مطالعاتي عن الرجل « بهاء الدين العاملي » اديب وعالم من ادباء عصر الانحطاط وآخر من شارف على علوم عصره قد جمع بين فضيلتي الدين والدنيا ، واستوعب من علوم عصرية ما جعلهموسوعة يرجع اليه في معضلات الامور في جيله ، ويستصبح بأصالة رايه ويؤخذ عنه ، حتى انتهت اليه رئاسة المذهب والملة .

اختلف مؤرخوه في مكان ولادته ، فمنهم من جعلها في «بعلبك» ومنهم من قال انها « قزوين » على ان رواية السيد بن معصوم وهي ما ارجحها لتدقيقه في يوم مولده وتعيينه قال : « ولد في «بعلبك» عند غروب الشمس يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة بقين من ذي الحجة سنة ٩٥٣هـ. وانتقل به ابوه الى بلاد العجم » . وقال ابو المعالي الطلوي انه ولد في « قزوين » وهي رواية ضعيفة لان الطلوي نقل سماعا واما ابن معصوم فقد كتب عيانا لانه كان فيما يظهر على صلة بأبي المترجم لـه .

اخذ البهاء العلم عن ابيه وغيره من جهابذة ذلك الزمن كعبد الله اليزدي وغيره ، فاستوعب جملة صالحة من العلوم الدينية والادبية والرياضية كما يتضح لنا من مؤلفاته . ولما اشتهر امره وظهرت مواهبه عرف قدره سلطان شاه عباس فاسند اليه رئاسة العلماء في « اصفهان » وما لبث الرجل في منصبه حتى احس بدافع نفسي يدفعه الى حياة الزهد والدروشة فتخلى عن منصبه وراح يذرع بلاد الله سائحا يضرب في مناكب الارض نحو ثلاثين سنة (١)

ومن مطالعة كتابه « الكشكول » نعلم انه ذهب الى مصر واجتمع بالاستاذ الشيخ البكري الصديقي واخذ عنه قصيدة سنة ٩٩٢هـ. اثبتها في « الكشكول » ومطلعها .

بين اهل القلوب والحق حال هو سر يدق عنه المقال

ونراه ايضا يمدح الاستاذ الموحى اليه بقصيدة مطلعها :

يا مصر سقيا لك من جنة قطوفها يانعة دانية

وهي من خير قصائده(٢)الا ان شعره ليسمن النمط العاليفيبعضه اسفاف واختلال معنى ومبنى وربما يكون ذلك تصحيفا في النسخ او الطبع . ولم يستقر به المقام طويلا في مصر ، فيشد رحاله الى بيت المقدس فيقول : « قال المحقق الزركشي في شرحه يزيد على المطول وقفت عليه في القدس الشريف سنة ٩٩٢هـ » وهي السنة التي قصد بها مصر (٣) .

ويقص علينا الرضى بن اللطف المقدسي رواية ملخصها ان بهاء الدين نزل في بيت المقدس بفناء الحرم فتقرب اليه واخذ عنه شيئا من علمي الهيئة والهندسة (٤) وما لبث ان ترك بيت المقدس متوجها الى مكة المكرمة حاجا فشاهد الشاعر وهنالك انشد بيتين لا ارى فيهما روعة شعر ولا نعتا ولا لحنا ولكني اثبتهما تاييدا لرحلته :

يا قوم بمكة انا ذا ضيف ذي زمزم ذي منى ام ذا طيف

كم اعرق مقلتي لاستيقن هل في يقظة ما اراه ام ذا طيف

وله قصيدة بعث بها الى والده في « هراة » متشوقا قال :

يا ساكني ارض الهراة اما كفى هذا الفراق بلى وحق المصطفى

عودوا علي فربع صدري قد عفا والجفن من بعد التباعد ما غفى

حبا لكم في بالي والقلب في البلبال (٥)

ويقصد زيارة النجف الاشرف وقد اعتزم ان يبني مكانا فيه لحفظ نعال زوار ذلك الحرم الشريف (٦) .

ومما يروى عنه انه قدم دمشق ونزل ضيفا بمحلة الخراب على احد كبار التجار ، واجتمع به الحافظ الحسين الكربلائي القزويني والتبريزي نزيل دمشق ، ورغب ايضا في ان يجتمع بالحسن البوريني الذي ازدراه لاول وهلة في المجلس الذي اعده مضيفه التاجر ، وما بدأ البهاء في الكلام حتى عرف البوريني قدره وسعة اطلاعه فقام اليه وعانقه وقال : « انك ولا ريب البهاء الحارثي » ونسبته الى الحارثي هي نسبة الى حارث همدان قبيلة جده الذي خاطبه الامام ابو الحسن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بقوله : « يا حار يا حارث بالترخيم والتتميم » .

ومن دمشق سار الى حلب وعنه يقول الشيخ ابو الوفاء العرضي ما ملخصه : انه قدم حلب بهيئة درويش وذلك زمن السلطان مراد بن سليم ، ولما سمع بقدومه اهل جبل بني عاملة (٨) تواردوا عليه افواجا افواجا ، وهذا ما يثبت لنا صحة نسبه واتصاله ببني عامله واليهم ينسب « العاملي »وليس الآملي كما زعم احدهم . فيكون انه عربي الجار والاصل .

وله مؤلفات عدة دينية وعلمية وادبية والتي بين يدي « الكشكول والمخلاة » وعليهما اعتمدت في كتابة بحثي هذا ، فمن مؤلفاته العديدة نعلم مبلغ علم الرجل وما استوعب من فنون فقه وادب ورياضيات ، وقد عرض الى ذكر كثير منها في « الكشكول » ولاسيما الفوائد الهندسية والحساب والفلك ، عدا الادبية واللغوية والالغاز والتفسير والاحاديث. ولقد اخبرني ذو ثقة ان قد اختلف في لقبه هل هو « العاملي او الآملي ؟ » واني اميل مما تقدم الى انه « العاملي » منسوبا الىبني عاملة وقد رأينا وفودهم عليه يوم كان نزيل حلب ورواية السيد ابن معصوم . وله بحث مستفيض في الفلك ذكره في كتابه « الكشكول » حول اصالة الانوار ما عدا النور والكواكب واكتسابها غير مختص بالبعض بل واقع في الكل (٩) . وكانت وفاته لاثنتي عشرة ليلة خلون من شوال سنة ١٠٣١هـ . في « اصفهان » ونقل الى طوس ودفن في داره قرب الحضرة الرضوية ، فيكون قد عمر نحو ثمان وسبعين سنة (٩٥٣ - ١٠٤١) وليس كما ذكر ناشر كتابه « الكشكول »من انه عمر خمسين سنة ، لانه ليس من المعقول في شيء ان تسند اليه رئاسة المذهب والملة وهو ابن عشرين سنة ثم يستقيل ليسوح في البلاد ثلاثين سنة .

فكما اختلف في مكان مولده اختلف في لقبه « العاملي او الآملي» وقد يختلف في سني حياته والعلم عند الله .

عيسى ميخائيل سابا

---

(١) بالاعتماد على خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر لمحمد الامين محب الدين الدمشقي .

(٢) الكشكول طبعة مصر ص ١٤ (٣) المصدر نفسه ص ٧ .

(٤) المصدر نفسه ص ٣٧ .

(٥) الكشكول ص ٢٩٣ (٦) المصدر نفسه ص ٩ (٧) الامالي لابن بابويه .

(٨) جبل بني عامله : هو جبل عامل الواقع جنوب لبنان .

(٩) الكشكول ص ٢٣ - ٢٦ .

محمود سيف الدين الايراني

بقلم يونس احمد اسماعيل الخاروف

* * *

ودعنا الاستاذ محمود سيف الدين الايراني ابن يافا العربية الاصيلة ، قبل عدة ايام تاركا لنا مزيدا من الالم الذي الم بنا يوم ان سمعنا بنعيه وفجعنا بخبر وفاته ، ويوم ان عرفنا انه قد اسلم الروح الى بارئها ، حيث يرقد الان قرير العين مطمئن النفس في جوار ربه الكريم .

ودعنا رائد القصة العربية القصيرة في فلسطين والاردن بعد ان ترك لنا من اثاره القصصية والادبية الشيء الكثير ، وبعد ان شق طريقا يصعب على الكثيرين ارتياده بنفس الروح القوية وبنفس الهمة والعزيمة . وبقصصه القصيرة في مجموعاته القصصية الخمس خلد الاستاذ محمود سيف الدين الايراني مأساة الشعب الفلسطيني في صور ولوحات عظيمة رسمها بريشته الناقدة وباحساساته الانسانية المرهفة .

اننا لم نجد انسانا تسيطر عليه مأساة النكبة الفلسطينية الاولى سيطرة كاملة مثلما سيطرت على نفس اديبنا الراحل ... لدرجة انه في قصصه التي نشرها بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ بقي مشدودا الى النكبة الاولى يستوحي افكاره واشخاصه من ذكريات واقعها الاليم وكأن النكسة الثانية لم تكن شيئا يذكر الى جانب النكبة الفلسطينية الاولى في نفس اديبنا . يقول الاستاذ فخري قعوار في معرض رثائه لاديبنا الراحل :

« بعد نضال طويل ومجاهدة عسيرة دامت اكثر من خمس وثلاثين عاما في حقل الكتابة التأليفية وبعد ان نقل القصة القصيرة المحلية من طور الحكاية الخرافية الى طور اكثر عصرية وفنية ، وبعد ان نجح هو ورفاقه من الادباء في اقناع الناس بأن القصة القصيرة فن لا يستطيع ان يتنطح له اي عابر سبيل ، ورغم كل الآراء التي قيلت وقد تقال حول قيمة ادب الايراني ، فاننا نشعر بفداحة الخسارة على الصعيد الادبي ، ونشعر ايضا باننا قد فقدنا صديقا عزيزا » (١)

ويقول البدوي الملثم « يعقوب العودات » رحمه الله في بداية ترجمته للاديب الراحل : « كان شعاره الذي آمن به دستورا وطريقا في الحياة تلك الحكمة التي طالما رددها المفكر العربي الحر موسى سلامه : مهمة الكاتب ان يجعل القارىء يحيا الحياة التاريخية ويحس انه انسان عظيم في تغيير هذه الارض وترقية مجتمعاتها وتطوير حضارتها » (٢) .

سيرة حياته : ولد اديبنا الفقيد في مدينة يافا عام ١٩١٤ ، وقد تلقى علومه الابتدائية والثانوية في كلية الفرير بفلسطين وتخرج فيها عام ١٩٢٩ . وقد خرج الى الحياة مسلحا بثلاث لغات هي العربية والانجليزية والفرنسية مع المام خفيف باللغة الفارسية . وتمثلت ينابيع ثقافته في الادب العربي قديمه وحديثه ، والادب الفرنسي بالاضافة الى الادب الانجليزي ، فضلا عن عيون الادب العالمي مترجمة الى الفرنسية والانجليزية .

عمل محمود بعد تخرجه في حكومة فلسطين فترة من الزمن ، وفي اثناء ذلك دفعه طموحه الادبي الى اصدار مجلة ادبية اسبوعية اطلق عليها اسم « الفجر » بيافا عام ١٩٣٥ بمشاركة الاديب الراحل عارف العزوني ، وقد صدر منها حوالي خمسين عددا ، وكانت مسرحا لاقلام ادباء فلسطين ومصر والعراق وسوريا ولبنان ، ثم صدر له بعد ذلك بعامين مجموعته القصصية الاولى « اول الشوط » .

وفي اوائل الاربعينات هاجر الفقيد الى الضفة الشرقية بحيث عين معلما للغة العربية في المدارس الثانوية في كل من عمان واربد والكرك ، ثم مديرا ومفتشا للمدارس الثانوية ، وتنقل بعد ذلك في عدة مناصب هامة فكان سكرتيرا عاما للجنة اليونسكو الوطنية في عمان ، ومديرا للتعليم الخاص بوزارة التربية والتعليم الاردنية .

وفي عام ١٩٦١ اوفد في بعثة دراسية للتخصص في شؤون اليونسكو على نفقة المنظمة العالمية ، وحينما عاد عين مستشارا ثقافيا في وزارة الثقافة والاعلام وترأس تحرير مجلة « افكار » الادبية الثقافية التي تصدرها دائرة الثقافة والفنون . وبقي يعمل في منصبه هذا حتى توفاه الله يوم ٣١ — ٥ — ١٩٧٤ رحمه الله .

ادبه القصصي : اشتهر الاستاذ محمود سيف الدين الايراني في حياته الادبية بكتابته للقصة القصيرة التي برع فيها ، وقد نشر قصصه القصيرة في بعض المجلات والصحف الادبية كما نشرها في مجموعات قصصية على شكل كتب مستقلة ، ولم يصدر له اثناء وجوده في فلسطين سوى مجموعة واحدة هي مجموعة «اول الشوط» وصدر له بعد رحيله الى الاردن خمس مجموعات قصصية اربع منها من تأليفه وواحدة ترجمها عن اعلام القصة الغربية ، هذه المجموعات الخمس هي « مع الناس » و « ما اقل الثمن » و « متى ينتهي الليل » و « اصابع في الظلام » و « اقاصيص من الشرق والغرب» .

وقد كانت نكبة فلسطين واحداثها وآثارها الاجتماعية والنفسية والفكرية على ابناء الشعب الفلسطيني

---

(١) فخري قعوار « رثاؤه لمحمود سيف الدين الايراني » جريدة الراي ، عدد ١٠٢٥ ، السنة الثالثة ١٩٧٤/٦/٢ .

(٢) البدوي الملثم « واصف محمود سيف الدين الايراني » الاديب . يونيو ١٩٦٩ ، جزء ٦ ، السنة ٢٨ ، ص ٢٨ .

هي المحور الاساسي والمادة الخصبة لقصصه القصيرة فيما عدا المجموعة الاولى التي اصدرها قبل النكبة بثلاثة عشر عاما اي عام ١٩٣٧م وحتى مجموعته القصصية التي اصدرها بعد النكسة عام ١٩٧١ فان منها ثلاث قصص مستوحاة من النكبة الاولى. وبالرغم من حدوث مأساة اخرى عام ١٩٦٧ فاننا لم نلمس لهذه المأساة اي اثر في مجموعته القصصية التي صدرت بعد النكسة .

وقد دأب اديبنا الراحل في قصصه القصيرة على تصوير المشاكل الاجتماعية التي تواجهها الطبقات الفقيرة، والفوارق التي تفصل بين الناس في مجتمعهم وإخراجها في مقالات وقصص ذات طابع انساني عظيم .

يقول الدكتور عبد الرحمن ياغي في دراسته لمجموعة اديبنا القصصية الاولى « اول الشوط » :

« طالعتنا في النصف الثاني من المرحلة (٣) مجموعة قصصية تحمل طابعا جديدا وتعالج مواقف اجتماعية جادة ولها اهداف ادبية ومضمون ايدولوجي بارز السمات ... يهدف في مداه البعيد الى تجديد الحياة الاجتماعية كلها ولذلك نرى هذه المجموعة تلقي اضواء على طبيعة العلاقات بين الطبقات . وعلى مستوى التطور الذي وصلت اليه كل طبقة من تلك الطبقات » (٤) .

يقول الدكتور عبد الرحمن ياغي ايضا : « لقد ادرك الاستاذ الايراني ان التمرس بالحياة ودراسة التجربة واستيعابها وتمثلها في ظروفها ومعرفة الاتجاه الصاعد فيها ، كل ذلك ضروري للعمل الفني . كما فهم ان الفنان هو خادم المجتمع الامين وان الفن اداة من ادوات ترقية الوعي الانساني وانه وسيلة من وسائل تحسين النظام الاجتماعي الذي يعيش الناس في ظله . » (٥)

وفي معرض نقده لفن اديبنا الراحل القصصي يقول الاستاذ محي الدين عبد الرحمن : « نجد من التتبع الدقيق لقصصه من « اول الشوط » وحتى « اصابع في الظلام » ان نسبة القصص الجيدة وخط بيانها الصاعد قد اتخذ طريقا صاعدا ، ويمكن القول انه في قصصه الاولى قد فشل في بناء قصصه التي تحولت الى مجرد قضايا فكرية يعالجها بطريقة مباشرة . وفي مجموعاته الاخيرة بدأ فنه ينبيء ببراعة فنان يعرف كيف يمزج بين الشخصية والحدث الفني وزاوية الرؤية مزجا موفقا . لقد نجح الايراني في نوع خاص من القصص وهي قصته الشخصية وقد استطاع حقا ان يخلق الكثير من الشخصيات الحية التي نشعر ان بيئتنا تمتليء بأمثالها او بمعظمها » (٦).

اما الدكتور هاشم ياغي فانه يعتبر مجموعاته القصصية الاربع « اول الشوط » و « مع الناس » و « ما اقل الثمن » « ومتى ينتهي الليل » . ذات طابع رومانسي يتدرج من الرومانسية الصارخة الى الرومانسية الايجابية الهادئة ويقول : « ان عالم القصص في هذه المجموعات الاربع بشكل عام عالم رومانسي بهمومه واحلامه واحداثه وشخوصه » (٧) .

مكانته الادبية : اذا ما حاولنا ان نتبين مكانة اديبنا الراحل في الادب العربي عامة والادب الفلسطيني الاردني خاصة فاننا سوف نجد انفسنا امام رائد من رواد القصة العربية القصيرة وعلم من اعلامها . لم يقف الى جانبه في هذا المضمار سوى قلةمن اقرانه الادباءواذاما حاولناان نعرض لآراء النقاد في ادبه وفنه وفكره ، فاننا سوف نجد انفسنا امام عدد هائل من النقاد والادباء الذين تعرضوا لقصصه وادبه ، وسوف نكتفي هنا بالاشارة الى بعضهم ممن تناولوا ادبه القصصي جملة وتفصيلا .

فهذا الدكتور عبد الرحمن ياغي يعتبره رائدا بل صاحب مدرسة في حياة الادب الفلسطيني الحديث .وهي المدرسة المادية العربية في حياة النقد في المرحلة الثالثة من مراحل تطور الادب العربي في فلسطين .

يقول الدكتور عبد الرحمن ياغي : « اما الاستاذ محمود سيف الدين الايراني الذي عددناه من بين اصحاب المدرسة التي تتخذ مضمونا في ادب القصة في المرحلة السابقة ، فقد حافظ على اتجاهه وواصل جهوده القصصية ومضى يحاول ان يبلغ بمدرسته غاية بعيدة فاتقن عملية الامتزاج بين مضمونه الايدولوجيوبين الشكل الفني وكان اشد الناس حرصا على ان لا يخلو عمله الفني مطلقا من المضمون الايدولوجي » (٨) .

ويقول : « هذا التيار الجديد في النقد الذي دعا اليه الاستاذ المؤرخ المحقق عبد الله مخلص وصوره واقام اعمدة بنائه الاستاذ محمود سيف الدين الايراني ينضم اليه مجموعة من الشبان يرفعون بناءه حتى يغدو شامخا وحتى تتحدد في هذا القطر ملامح المدرسة المادية في حياة النقد » (٩) .

اما الاستاذ محي الدين عبد الرحمن فيقول : «يقف الاستاذ محمود سيف الدين الايراني في طليعة كتاب القصة القصيرة الفلسطينية الاردنية بل في طليعة القصصيين العرب ، وهو ايضاً الرائد الاول للقصة القصيرة في فلسطين فقد بدأ يكتبها منذ الثلاثينات وما

---

(٣) يقصد الدكتور عبد الرحمن ياغي بذلك المرحلة الثالثة من مراحل تطور الادب الفلسطيني الحديث والتي تبدأ بنهاية الحرب العالمية الاولى وتستمر حتى بداية الحرب العالمية الثانية .

(٤) عبدالرحمن ياغي . حياة الادب الفلسطيني الحديث من اول النهضة حتى النكبة . بيروت . المكتب التجاري . ١٩٦٨ ٧٢٣ص.

(٥) المرجع السابق ص ٤٧٧ .

(٦) محي الدين عبد الرحمن « اصابع في الظلام »رسالة المكتبة. عدد ٢ السنة السابعة حزيران ، ١٩٧٢ . ص ٢١ ـ ٢٧ .

(٧) هاشم ياغي . القصة القصيرة في فلسطين والاردن .١٨٥٠ـ ١٩٦٥ . القاهرة ،معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٦ ، ٣٦٠ص.

(٨) عبد الرحمن ياغي. حيادالادب الفلسطينيالحديث.ص٩٤٣.

(٩) نفس المرجع السابق : ص ٥٦٩ .

زال علمها المفرد كما وكيفا في الاردن » (١٠) .

وقد اعتبر الاستاذ ابراهيم خليل ظهور محمود سيف الدين الايراني باول مجموعاته القصصية « اول الشوط» عام ١٩٣٧ بداية للمرحلة الثانية من مراحل تطور القصة القصيرة في فلسطين والاردن التي تبدأ بالحرب العالمية الثانية وتنتهي بنهاية الخمسينات (١١) .

وقبل ان ننهي الحديث عن ادبه ومكانته الادبية لا بد ان نعرف رايه في القصة القصيرة التي كتبها واشتهر بها في عالم الادب . ففي اجابته على سؤال للاستاذ عصام ماشه عن رايه في القصة القصيرة وتعريفه لها اجاب :

« ان القصة القصيرة عبارة عن لمحة مفردة من الحياة او من حياة الانسان ، وشخصية القصة القصيرة – في الغالب – تكون قد تم نموها ونضجها من قبل فهي لا تعرض للكيفية التي تم بها هذا النمو وهذا النضج ولا للظروف والحوادث التي اثرت في ذلك ، وانما قصارى القصة القصيرة ان تأتي بهذه الشخصية لتنظر في ازمة نفسية ضاقت بها او حادث من الحوادث الآنية وقع لها اي ان القصة القصيرة تسير في نفس الطريق الرئيسية دون ان تلتفت الى الطريق الفرعية هنا وهناك . واذا وصفت تكتفي بالاشارة السريعة والسطور القليلة المعبرة. اما مجال اسهابها فيكون في شرح الحالة النفسية او اللاشعورية للشخوص وقت الحادث الذي يقع لها » .

آثاره ومؤلفاته : لقد ترك لنا الفقيد الراحل انتاجا ادبيا وافرا ، اثرى المكتبة العربية وساهم في سد بعض النقص الذي كانت ولا زالت تعاني منه ، وهو القصة القصيرة بشكل خاص والقصة الطويلة او الرواية بشكل عام . وقد كتب الكثير من المقالات الادبية والقصص القصيرة في الصحف والمجلات العربية كما اذاع مئات الاحاديث والقصص من الاذاعات العربية والاجنبية ، وكان له شرف المساهمة في تحرير مجلة «رسالة المعلم» وكتب بها بعض المقالات والقصص القصيرة ، وحينما عين مستشارا ثقافيا في وزارة الثقافة والاعلام ترأس تحرير مجلة « افكار » الادبية الثقافية التي تصدرها دائرة الثقافة والفنون ، وكتب بها بعض المقالات الادبية والقصص القصيرة ، والى جانب ذلك كله فقد صال قلمه وجال بين صفحات كثير من الصحف والمجلات العربية ، نذكر منها : جريدتي « فلسطين » و « الدفاع » في فلسطين ثم في الاردن ، و « الجامعة الاسلامية » و « اللهب » و « الرائد » و « السياسة الاسبوعية » و « المقتطف » و « الثقافة » المصرية و « الحديث » السورية و « العربي » الكويتية و « الاديب » البيروتية ومجلتي « الطريق » و « الطليعة » السوريتين .

---

(١٠) محي الدين خليل « اصابع في الظلام » رسالة المكتبة ص٢١

(١١) ابراهيم خليل « الاتجاهات القصصية المعاصرة في الاردن » مجلة افكار ، عدد ٢٢ ، اذار ١٩٧٤ ص ٧٤ .

الحسان

لا يصمد القلب المنيع هنيهة
ان جاءه رئم بلحظ راشيا
لولا الحسان لجاء ديوان الورى
بصحائف حمر ، ملئن مراثيا
من لم تظلل نفسه دوح الهوى
وجد الحياة بلاقعا وفيافيا

محمد العدناني

اما آثاره المطبوعة والتي صدرت ككتب مستقلة عن دور النشر في فلسطين والاردن وبعض البلدان العربية فهي :

١ – اول الشوط : قصص قصيرة . يافا ، مطبعة الفجر ، ١٩٣٧ ، ١٩١ ص .

٢ – مع الناس : قصص قصيرة . عمان ، دار النشر والتوزيع والتعهدات ، ١٩٥٦ ، ١٩٢ص.

٣ – ما اقل الثمن : قصص قصيرة . عمان ، المؤلف ١٩٦٢ ، ٢٠٠ ص .

٤ – متى ينتهي الليل : قصص قصيرة . بيروت ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٤ ، ١٦٢ ص .

٥ – الاردن واليونسكو : عمان ، وزارة التربية والتعليم ، ١٩٦٤ ، ١٠٦ ص .

٦ – اللغة العربية . عمان ، وزارة التربية والتعليم، ١٩٦٦ ، ٣ج : ٤٦٥ص .

٧ – اقاصيص من الشرق والغرب . عمان اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر ، ١٩٦٩ ، ٢٦٠ص .

٨ – اصابع في الظلام : قصص قصيرة . عمان وكالة التوزيع الاردنية ، ١٩٧١ ، ١٦٢ص .

٩ – ملامح من الغرب . عمان ، دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٧٣ ، ١٦٠ص .

اما آثاره التي لم تطبع بعد فهي :

١ – معرض النماذج : دراسات عن ادباء وقصصيين عالميين .

٢ – ترغنيف : سيرته وادبه .

٣ – شارلز ديكنز : دراسة ادبه .

٤ – رواد القصة القصيرة : تشيكوف، موباسان ، كاترين ، مانسفيلد .

٥ – في الادب والحياة : ثلاثة اجزاء .

اربد – الاردن **يونس احمد اسماعيل الخاروف**

غياب

منذ غبت القلب يمضي في ضياع
زاده الذكرى ودمعات الوداع
وابتسامي الحلو قد ولى وضاع
ووجيب القلب شجو والتياع

ويروح الصبح او يغدو المساء
تستوي الظلمة عندي والضياء
فبريق الشمس والغيم سواء
طالما طيفك عن دربي نأى

حزن الهاتف لم اسمع نداه
شارك القلب على البعد اساه
واستبد الصمت لا يصفو دجاه
ليس في الوحدة همس غير آه

طبعي الصبر ولكن ضاع صبري
كيف ضاع الصبر اني لست ادري
فانا مذ غاب عني ضل فكري
كيف ضل الفكر اني لست ادري

منذ ان غاب تعلمت الحساب
قد مضى يومان مذ راح وغاب
يومي الثالث شوق وعذاب
صبحت الايام من طول الغياب

كان همي انه جاء وراح
واللقاء الحلو في يومي يتاح
عندما القاه تلتام الجراح
والدجى يصبح في عيني صباح

لا تسلني اليوم عن يوم الطويل
او مسائي لست ادري ما اقول
عندي الصبح وفجري والاصيل
كلها سيان كالصمت الثقيل

فمتى يفتر روضي بالعبير
ويعود الماء صفوا للغدير
والعصافير تغني والزهور
كلها من فرحة اللقيا تطير

مصر الجديدة — روحية القليني

كان

ذلك في احدى مدن الصين القديمة . وكان معبد الالهة الصينية « دورجا » الهة الدمار التي تنزل شر ضروب النقم بكل من يقترف جريمتي السرقة والزنا ، قائما وسط حديقة غناء ذات اشجار باسقة . وكان الوقت ليلا ، والقمر في ابانه ، واشعته الفضية الساطعة تنساب من خلال الاغصان وتتسلل في رفق الى الهيكل الكبير ، حيث تمثال الالهة المقنعة الوجه بقناع من الحرير الاحمر .

كان الهيكل ساكنا ، يسبح في ظلمة نيرة ، تتراقص في اعماقها اشباح المؤمنين والمؤمنات ، وهم يبتهلون الى الالهة في دمدمة حارة لا نهاية لها .

ولم يكن في وسع المؤمنين ان يحدقوا الى الالهة طويلا ، او يحاولوا الدخول الى حرم هيكلها ، او يفكروا لحظة واحدة في لمس تمثالها ، فقد كان الدنو من شخصها محرما عليهم، كما كان التجرؤ على رفع قناعها الاحمر جريمة مروعة ، لا بد ان تلقى الجزاء ساعة وقوعها ، ولا بد ان يعاقب مرتكبها لا بالسجن ولا بالشنق بل بالرجم بالاحجار !

فنزولا على ارادة الكهنة وحكم التقاليد ، كان المؤمنون جميعا يصلون ورؤوسهم مطرقة ، وابصارهم خاشعة ، وعيونهم متجهة الى قاعدة التمثال فقط ، او الى الشاب الفاتن الجميل « شتري » حارس الهيكل.

وكان شتري فتى في نحو العشرين ، مديد القامة ، عريض المنكبين ، وثيق التركيب ، خارق الحسن . وكان قد ولد في كوخ من الاكواخ المجاورة للمعبد ، فلما توفي ابواه الفقيران ، كفله عمه ، ثم نذره لخدمة الهيكل حتى يتزوج . فعاش بقرب الالهة يحرس تمثالها ، ويقضي ايامه في النسك والتعبد والصلاة .

والحق ان شتري كان سعيدا لانه كان طاهرا ، لا يعرف الشر والدنس ولا تقلقه وتزعجه وثبات الغريزة ومفاتن المراة واخيلة الحب .

فطفولة الفكر كانت منبع سحره، وطفولة القلب كانت مصدر فتنته ، وطفولة الروح مقترنة بنضرة البدن كانت طابع جماله ، وباعث تاثيره ، وسر جاذبيته . وهكذا عاش في المعبد عشر سنوات لم يحس فيها الضجر.

ظل هادئا ساكنا سعيدا ، راضيا بفقره ، قانعا بحظه ، مخلصا للهيكل الذي يحرسه ، حتى استفاق ذات صباح واذا به يشعر كأن عقله قد افلت منه ، واندس بجمعه في تضاعيف دمه ، ثم اشعل في شغاف قلبه البارد جذوة نار !

غافله طور الرجولة فجأة ، واستبد به . فاضطرمت دماؤه وتنبهت فطرته ، وصبت الى العاطفة والمراة والاليف . وعلى الرغم منه بدأ يفكر في الجنس الاخر ، وبدأ ينعم النظر في اشكال والوان النساء المختلفات الى المعبد .



بقلم ابراهيم المصري

وكانت تفد الى المعبد في كل شهر مرة ، غانية مشهورة ، واسعة الثراء ، اطلق عليها العامة اسم « مارا » اي روح الخطيئة والاغراء والشر ..

وكانت هذه الغانية جميلة جمالا يخلب الالباب . فشعرها الفاحم الغزير كان صخابا كموج البحر ، ونظراتها الناعسة الحادة اخاذة كشبكة الصياد ، واعضاؤها الرخصة المليئة ، مواجة رقاصة كأنها الافاعي .

واحبها شتري وافتتن بها . احب فيها الحياة التي لم يرها ، والمرح الذي لم يعرفه ، والخطيئة التي لم يرتكبها .

احب فيها نقيضه في كل شيء فاضطرب وحار ، وانتابه من فرط القلق والخوف شبه ذهول .

وكان كلما وفدت مارا الى المعبد، يسارقها النظر في لهفة ، ثم يحدق اليها وحدها كأن من في المعبد قد استحالوا من بشر الى اصنام .

اما مارا فلم تكترث له اول الامر، ولكنها سرعان ما شعرت بلهفته واضطرابه ، فاهتمت به ونظرت اليه . ولم تكد تتأمله حتى بهتت .. تسللت الى نفسها نشوة جديدة عجيبة راعتها وروعتها . احست كأنها تائهة ، وكأن موجة طاغية من نور تندفق عليها وتخطف كيانها .

واحبت شتري في عنف كما احبها . ولكنها احبت فيه طهارته الرائعة ، وبراءته الخالصة ، وسحر طفولته العذب الرقيق الاصيل . احبت فيه ما لم تره في عالمها ، وما لم تبصره قط في عشاقها .

احبت فيه حنينا خفيا في نفسها الى الخير ، وتوقا ممضا في قلبها الى العاطفة ، ورغبة متحرقةمتهافتة على التحرر والتطهر والخلاص .

احبت فيه نقيضها كما احب فيها نقيضه ، وراحت تطارحهالهوى بنظراتها الساهمة ، وابتساماتها الوالهة ، كلما دخلت المعبد ، وانحنت تصلي امام تمثال الهة الدمار ..

وكان شتري لا يجسر على مخاطبتها ، ولا يعرف كيف يمكن ان يصل اليها . كان يقارن بين ضعته ورفعتها ، بين فقره وغناها ، فيثور على نفسه ، ويثور على حظه ، ويظل



يضرب بآماله قضبان سجنه حتى تخور قواه .

بيد ان مارا كانت اوفر منه حرية، وابلغ جراة ، واقدر على التصرف في شخصها وحياتها . فلما برح بها العشق ، ومزق نفسها الحنين الى العاطفة والفضيلة والخير ، استجمعت قواها ، وابت الا ان تتغير وتتبدل كي تصبح بين عشية وضحاها جديرة بالشاب الطاهر البريء الذي وهبته قلبها وحياتها !

ولم يعلم شتري بنيتها ، ولم يستطع ان يقف على مكنون نفسها . فارتمى في غمرة حزنه ويأسه ، يخالس النعيم وهما ، وينفق وهمه في ارتقاب الامل البعيد سدى .

وظلت العلاقة بينهما صامتة حائرة زافرة . ثم انقضت ايام ووقع لشتري ما لم يكن في حسبانه ابدا .

ابصر ذات مساء في مؤخرة المعبد امراة .. امراة عجوز في نحو الستين من عمرها ، بشعة دميمة قميئة ، مخضبة الوجه بالمساحيق، ملوثة الشعر بالحناء ، تخالسه النظر ، ثم تقترب منه ، ثم تومىء اليه هامسة ، وتدعوه بعد الصلاة الى اللحاق بها في حديقة المعبد ..

واثار فضوله مظهرها وهمسها ، فتريث حتى انصرفت جموع المصلين ثم تبعها . وما كادت تحجبهما الاغصان ، حتى ابتدرته العجوزقائلة وعيناها تلمعان ، وذراعها المرفوعة مصوبة الى نقطة صفراء في الافق البعيد :

ــ انها هناك ... وهذا هو بيتها !

فارتجف شتري وقال :

ــ من تعنين ؟

فندت عنها ضحكة وغمغمتوهي تحدق اليه بعينيها الخبيثتين المكحلتين :

ــ انت تحبها .. مارا .. لقد لاحظتك .. ولكن كيف تطمع ايها الصعلوك في الدنو منها ، كيف تأمل الظفر بها ؟ انها ليست امراة . انها لابعد وامنع من الهة الدمار نفسها !

فدفع شتري بالعجوز وصرخ :

ــ **اخرجي !**

فارتمت عليه وتشبثت به وقالت:

ــ المال معي .. المال الذي يحطم جميع الابواب ويأسر اقسى القلوب .. انظر ..

وخشخشت له بصرة كبيرة وهتفت :

ــ بهذا وحده يمكنك ان تصل !

فانتفض الشاب واندفع ، ومد في لهفة يده . ولكن العجوز ارتدت



ابراهيم المصري

●

عنه ضاحكة واردفت :

ــ تعال معي ... اقض الليلة فقط معي ، وهذه الصرة تصبح لك . اني لاعبدك يا شتري الجميل، فاشفق على نفسك وعلي واتبعني !

فجحظت عينا الفتى وجمد . لم يتحرك ، خاف ان ينظر الى وجهها البشع الملوث المخيف . فنظر الى اليد الضامرة ، والى الصرة القاهرة ، وعلى دهش منه ، احس كأن عقله يغيب عن وعيه ، ويتخبط في شبه بحر من الظلمات . فلم يلتفت الى العجوز بل اشار اليها ان تبقى ، وكر من فوره الى المعبد ، واوصد بابه بالمفتاح ، ثم خرج الى الحديقة ، واتجه نحو العجوز ، وامسك بيدها ، وغمغم وهو مسدد بصره الى الارض :

ــ هيا بنا !

★

وقبل ان يطلع فجر اليوم التالي، مرق شتري من الحديقة كاللص ، وفتح باب المعبد ، وارتمى تحت قاعدة تمثال الالهة ، ثم رفع بصره الى قناعها الاحمر المرهوب الذي لا بد ان يعاقب بالرجم كل من يحاول ان ينتزعه . ولكنه لم يستطع ان يمد يده الى القناع ، ولا ان يصلي ولو فترة ، ولا ان يرتعش ويبكي .. كان مذهولا ولكنه كان راضيا . كان منسحقا ولكنه كان سعيدا . فلما اقبلت جموع المصلين ، نهض وهو ينظر الى باب المعبد ، ويرقب مقدم مارا ، ويتحسس في جيبه الصرة الثمينة القاهرة .

وبغتة دخلت الغانية . اقبلت مارا ثابتة الخطى ، مشرقة الطلعة ، ينسكب على بدنها ثوب ابيض بسيط، ويطوق خصرها حزام من الجلد الاسود ، ويستر رأسها منديل كمناديل بنات الشعب البائسات . لم يرها ابدا في مثل هذا الزي . فاستغرب تحولها ولم يفهم شيئا . ولكنه اعجب وطرب واخذ ..

استبد به الحب والاعجاب فعزم ان ينتهز فرصة انصراف الجماهير عند الظهر ، ثم يستوقف مارا ، ويكشف لها عن حبه المتحرق المستصرخ المكبوت .

وتحسس الصرة مرة ثانية وتنهد ... وعندئذ ، وبينما هو يتمالك نفسه ، وينسق وينمق الكلمات والعبارات التي لم يتفوه بها قط من قبل ، رأى الجماهير تتحرك ثم تتبدد ، ثم تنصرف ، ومارا ثابتة في مكانها تحدق اليه هي الاخرى

وكأنها تنتظر مثله انصراف الجماهير.

وادهشه تخلفها على غير عادة. فلم يتردد، واندفع نحوها، وقال **لاول مرة وهو يكاد يختنق**:

ـ احبك يا مارا!

فرفعت اليه عينين هادئتين باسمتين، فتشجع ومضى يقول في سذاجة وتواضع وعذاب:

ـ لم اعد اعرف النوم. لم اعد اشتهي الطعام. لم اعد ادري اين انا... منذ رايتك احببتك يا مارا... لا تغضبي مني، لا تنهريني، انا حقير. فلا تنظري الى شخصي بل الى حبي، ولا تنظري الى مكانتي بل الى قلبي.. يجب.. يجب ان تحبيني يا مارا... لاني احبك!

واقتادها الى زاوية قصية في المعبد. فتبعته مزهوة ومنتشية. فاجلسها على مقعد، وجثا امامها على الارض، وتاه كل منهما في كيان الاخر. فلم يبصرا غير شخصيهما، ولم يسمعا غير دقات قلبيهما. لم يسمعا وقع اقدام دبت خلفهما في سكون، ثم تراجعت في حذر.

وجاش الحرمان في صدر شتري. فاكب على قدمي مارا، وصاح:

ـ ارحميني ولا تنبذيني. لقد بذلت المستحيل من اجلك، وها هو ذا... ها هو ذا كل كنزي.. خذيه. انه لك.. ولكن دعيني احبك يا مارا واشفقي علي!

وابرز الصرة الكبيرة وهو جذلان، ثم دفعها اليها وردد كمعتوه:

ـ خذي.. خذي..

فانتفضت المراة مذعورة وصرخت: ـ ما هذا؟ نقود؟!

فهتف وهو يوشك ان يقبلها:

ـ انها لك. ولو استطعت ان اجمع في هذه الصرة ملك الدنيا لما ترددت!

فدفعته المراة عنها في عنف وهدرت:

ـ انت؟ انت ايضا تريد شرائي بالمال؟!..

ففغر فاه كابله ولم يفهم. فصاحت به وهي ممسكة بكتفيه، تهزه هزا عنيفا وتقول:

ـ من اين لك هذا المال؟ هل سرقت تبرعات المحسنين، ام سرقت النذور، ام اجترات على تاج الالهة فانتزعت منه جوهرة وبعتها في السوق؟ اجبني..

فانعقد لسانه وجمد. فاهابت به ثانية وقد جن جنونها:

ـ اجبني. تكلم. من اين جئت بهذا المال؟

فتشنجت اطرافه، وحنى راسه ولم يجب.

وفي تلك اللحظة، اطلت العجوز التي كانت قد راقبتهما منذ الصباح. اطلت من خلف احد اعمدة المعبد، ثم تقدمت صوب مارا وقالت ووجهها المشوه بالمساحيق يبتسم ويلمع كيدا وشماتة وظفرا:

ـ انا... انا التي اعطيته المال! قضى ليلة امس معي.. في بيتي. فسعدت به ونقدته الاجر.. فخذيه الان يا مارا العظيمة واستمتعي. خذيه ولكن اذكري انه كان فضلتي انا ولا تستكبري!

وقهقهت العجوز ثم تحاملت على نفسها وخرجت من المعبد. وما ان اختفت حتى انفجر غضب مارا عاصفا طاغيا مدويا، فصرخت وهي تحجب وجهها بكلتا يديها:

ـ **اذن فقد بعت نفسك لهذه العجوز؟**

فغمغم شتري:

ـ فعلت هذا من اجلك!

فصاحت وهي تضرب صدرها بقبضتها:

ـ ولكني لم اطلب اليك شيئا.

فتمتم الشاب:

ـ هو فقري الذي روعني، خفت الا يشفع لي عندك حبي وحده، فلم اجد بدا من ان استميلك بالمال.

فهتفت من اعماق نفسها:

ـ ولكني انا احببتك.. احببتك فقال وقلبه يتفطر:

ـ ولماذا لم تصارحيني؟

فأجابت والحسرة تمزقها:

ـ كنت امتحن حبك.

فقال وهو يكاد يبكي:

ـ ما كنت اتصور لحظة انه كان في وسعي انا البائس المسكين ان اتقدم اليك صفر اليدين يا مارا.

فصرخت:

ـ كان يجب ان تاتي الي عاريا.. عاريا.. عاريا من الشر والدنس والمال.. عاريا الا من جمالك وحبك!

فقال:

ـ وماذا كان يحل بي لو انك احتقرتني وسخرت مني وطردتني؟

فهتفت:

ـ كنت تكون قد احتفظت على الاقل بطهارة قلبك، وبراءة نفسك، ومجد عفتك الذي لا يبارى. اني من اجل طهارتك وحدها احببتك! لقد ارتكبت المحرم من اجلي، فتعال.. تعال وانظر.. انظر الان ماذا فعلت انا من اجلك!

وجذبته من ذراعه الى باب المعبد، ثم اومأت باصبعها الى نقطة صفراء في الافق البعيد، وصرخت:

ـ ماذا ترى هناك؟ حدق..

فقال وهو مذهول:

ـ ارى.. ارى دخانا.. دخانا كثيفا...

وامسك بها في ذعر واردف:

ـ انه ينبعث من بيتك يا مارا!

فصاحت بكل قواها:

ـ لقد احرقته قبل ان افد اليك! اضرمت فيه النار بيدي. اردت ان احرق كل ما كان يلوثني ويعذبني. كل ما كنت قد جمعت وادخرت طوال ايام حداثتي وشبابي من تجارتي المروعة بعرضي. احرقته كله. ضحيت به كله. وجئت لاقول لك هانذا اصبحت خليقة بك، طاهرة مثلك، في مقدوري ان احبك يا شتري واتزوجك واسعد. ذلك هو عملي، فماذا كان عملك انت؟ لقد انكرت نفسك وانكرتني.

وكنا بشر

وحين لقيتك .. كان شتاء ... وكان رفيق خطانا المطر
وكان الفضاء بلون الرماد ... وكنا نراه بلون الشرر
أتذكر كيف استعدنا الحياة ... بذاك الشتاء، وكنا بشر

واسمع وقع خطاك يدك ... السكون ويكسر صمت القبور
ويستولد الحلم من مقلة ... يجوس الصقيع بها والفرور

اتذكر كيف استحال الشتاء ... وكان لدينا الربيع المهاجر
وكيف اختصرنا جميع المرافىء ... وكيف اقتحمنا جميع المغاور
وتأتي علينا الفصول وتمضي ... وما كان هذا الشتاء مسافر

واصبح صوت خطاك رياحا ... تهب وتجتث مني الجذور
واصبح صوت خطاك جناحا ... يسافر بي عبر كل الجسور

دمشق — سلافة العامري

بعت نفسك وخنتني ، وبعد ان كنت انا .. انا الفانية ، اصبحت انت ، انت البغي !

فارتعدت فرائص شتري وصاح :

ــ الرحمة يا مارا !

فاستطردت وهي تلهث :

ــ ومن يرحمني انا ؟ من يرحمني من فراغ خيالي ، وعقم حلمي .. لا .. لا تمسسني .. لن اعود الى الوراء . سارحل . وفي اية مدينة اصادفها ، لا بد ان اجد معبدا انقطع فيه . الوداع !

وهمت بالخروج ، فلحق بها ، وردد كمخبول :

ــ الرحمة يا مارا .. لا تنبذيني .. فنحته عنها في عنف واندفعت صوب الباب . ولكنها لم تكد تخطو خطوة حتى قابلتها الجماهير المائجة، وردتها الى جوف المعبد ، وصاحت بها :

ــ بيتك يا مارا .. بيتك يحترق! فأجالت في الجماهير بصرها الزائغ ، وقالت ومسوحها الابيض يرفرف تحت شعرها الاسود كما ترفرف اجنحة طائر تحت العاصفة:

ــ لن اعود الى بيتي . النار التي التهمته قد طهرتني . سأذهب من فوري الى معبد المدينة المجاورة ، وانذر فيه للالهة بقية حياتي . لم اعد منكم ... لم اعد من بني البشر الهالكين !

ورفعت ذراعها واهابت بالجماهير :

ــ سيروا امامي وانشدوا نشيد العذارى .

فتصاعد النشيد مدويا في رحبات المعبد . وعندئذ تاه عقل شتري ، فشق زحمة الجماهير صائحا :

ــ مارا .. مارا ..

ولكنها لم تسمعه ولم تلتفت اليه . فغلى الدم في عروقه ، واستشعر في لحظة مصيره المحتوم. احس انه سيعيش خاويا كاليأس ، ضالا كالليل ، هائما كوحش الفلاة . فاستحال يأسه الفظيع الى لوثة جنون . فأخذت ابصاره القناع الاحمر ، القناع المقدس ، القناع المرهوب الذي يحجب وجه الهة الدمار . فحدق اليه لحظة ثم وثب الى قاعدة التمثال ، ومد ذراعه ، واجترأ ورفع القناع عن وجه الهة الدمار !

وما ان فعل حتى تنبهت الجماهير وجمدت . جمدت كأنما قد ضربتها صاعقة . ثم تحولت فجاة ، وجرت معها مارا ، وصاحت باصوات تقصف كالرعد :

ــ القناع .. لقد نزع القناع .. الموت لشتري !

فأجفلت مارا وتلفتت ، واذا بها تبصر الجماهير وقد ثار ثائرها تتجه نحو شتري لتقبض عليه وترجمه . فلم تتردد مارا وشقت صفوفها ، وصرخت وهي تجاهد لتحول بينها وبين الفتك بالشاب :

ــ لا تقتلوه . انه مجنون !

فاستنكرت الجماهير دفاعها عن المجرم . وبدل ان تتأثر بصراخها ، انتهرتها وحاولت اقصاءها . ولكن مارا التمست وتوسلت وبكت ، ومضت تذود عن شتري بكل قواها. فاستهولت الجماهير مسلكها ، وسرعان ما انقلبت عليها وراحت تهتف :

ــ الموت للمجرم والزانية !

وانقض عليهما كل من في المعبد وجروهما الى الخارج جرا ، ثم اوسعوهما ضربا بالايدي ، وركلا بالاقدام ، ورجما بالحجارة ، حتى سقطا على الارض صريعين مشوهين وسط تهليل الكهنة وهتاف النسوة، وصياح الاطفال .

وكانت العجوز البشعة القميئة المخضبة الرأس بالحناء ، واقفة تشهد هذا المنظر الفاجع ، وترمق الجثتين بنظرة ساخرة وتبتسم !

القاهرة — ابراهيم المصري

الى نـــــدى

اديـل الخشـــن

الشويفات ـ لبنــان

افتش عنهـا فـلا اراهـا !
ويضيع « النـدى » بيـن دمـوع الشتاء !
دروب « ينـار » تعرفهـا
والحشائش اليـانعة تهمس باسمها
فكـم جلست هنـاك تـدغدغها
تمسـح الصمـت الغافـي
عـن اجفـانها !
كـانت تزقزق مـع العصافيـر
وتهف كغلالـة مـن عبيـر
ينسـاب صباهـا الريـان
شفافا كـالضوء
وديعـا كاغفـاء البنفسـج ،
كانهمـار الشـروق
فـي احـداق الشحارير .
بعيـدا بعيـدا ذهبـت
فلملمت زهـرات البنفسج غلائلها .
من صدري اقتلعـت جذورهـا
وصـار القهـا يضيء ظلام الغربة !
انهـا هنـاك
والليل يغـرق فـي صمتي
عينـاي تحفران فـي المدى ثقوبـا
والعيـاء يتمدد فـوق اهـدابي .
كنزي ضممتـه
ضننت علـى عيني ببريقـه ...
ابعـدته البحـار فـي لحظـة
وتهادت حـرارة الجنـوب
تبتـرد « بالنـدى »
انهـا هنـاك ،
غيـث ناعـم حنـون
مروحـة اندلسية
تنهمر مـن اضلعهـا نسمات الربيع
انهـا هنـاك ،
والغربـة تعصف بـي
تصلبنـي كتلـة مـن وجـوم
تـوقـا الـى عنـاق
واحتـراقـا للقـاء !
طـول النهـار ، طـول الليـل
فيض لا متنـاه مـن دمـوع
طوفـان تغـرق فيـه النجـوم
رسمهـا فـي عينـي ضـوء
واسمهـا « نـدى »
يـرف فـي بـال الذبـول .



محمد العدناني

مع العلامة محمد العدناني

بقلم حسان الكاتب

* * *

يتميز الاستاذ محمد العدناني بقلم طيع وعبارة صادقة واسلوب ممتع مرح ... فهو ناثر .. وشاعر .. وناقد .. وقاص .. وباحث لغوي .

ينتمي العلامة الى اسرة « خورشيد » وله منها النصيب الاوفى فهي اسرة عرفت في العالم العربي كله بوزرائها وحكامها ومهندسيها وقادتها العسكريين وشعرائها ورساميها ، تلك الاسرة التي ابى احد الاجداد فيها « خورشيد باشا الحسني » الذي عاش ١١٥ عاما الا ان تنسب الاسرة كلها اليه في منتصف القرن التاسع عشر.

ولما شب العدناني عن الطوق ونظم الشعر كوالده وعرف انه من اصل عربي ، وان كلمة « خورشيد » فارسية ومعناها الشمس ، بادر — من دون اهله — الى تغيير اسم اسرته ، من (خورشيد) الى (العدناني) نسبة الى (عدنان) جد (الحسن بن علي) رضي الله عنهما ، وقد جاء في قصيدته التي عنوانها : من العدناني الى محمد خورشيد :

نشات على هوى الفصحى صبيا — ومع شعرائها خضت العبابا
فلم تر غير اي الله وردا — فراح اللب يلتهم الكتابا
وحملت اسم «خورشيد» ولما — تمت الى الاكاسرة انتسابا
لقد ظلموك ، فالدم يعربي — من الزهراء سال سنى وطابا

ابصر النور في مدينة جنين الفلسطينية في ٢٦ اذار ١٩٠٣ ، وكان والده فريد بك حاكما لتلك المدينة في العهد العثماني ، وتلقى علومه الابتدائية في جنين وطولكرم وغزة ودوما ودمشق وصيدا . واتم دراسته الثانوية في مدرسة الفنون الاميركية بصيدا . وعملا بوصية والده درس في جامعة بيروت الاميركية الطب ، سنتين تحضيريتين وسنتين في كلية الطب . ثم التقى امير الشعراء احمد شوقي في لبنان ، وانشده معارضته لقصيدة ابن زريق البغدادي التي مطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه — قد قلت حقا ، ولكن ليس يسمعه

وعندما وصل العدناني الى قوله :

رأيته عندها ، والدمع مضطرب — والجفن يحبسه ، والوجد يدفعه
فخلت نفسك تدري ما الم به — يوم الفراق ، وما تبديه ادمعه
وفي المآقي دموع لست تبصرها — وفي الضلوع انين لست تسمعه

قام شوقي ، وقبله من جبينه ، واصر عليه ان يترك كلية الطب الى كلية الآداب بالجامعة نفسها ، وعلى ان يصبح والده الروحي ، فنزل على ارادته ، وفاز بشهادة كلية الاداب عام ١٩٢٧ ، وسافر الى العراق ، واصبح استاذا في دار المعلمين العليا والثانوية المركزية ببغداد ، وكان من زملائه شاعر العراق معروف الرصافي ، ومربي العرب الاول ساطع الحصري ، والكاتب الفذ احمد حسن الزيات .

ثم عاد الى فلسطين واصبح استاذا للادب العربي في كلية النجاح بنابلس (١٩٣١ — ١٩٣٣) وانتقل بعد ذلك الى القدس استاذا للادب العربي في الكلية الرشيدية مدة تسع سنوات وفي عام ١٩٣٥ فاز في امتحان المعلمين الاعلى في علم النفس والتربية والتدريس نظريا وعمليا بدرجة الامتياز ، وكان وفق منهاج جامعة لندن في التربية وعلم النفس . وفي عام ١٩٤١ نال الجائزة الاولى في مباراة شعرية موضوعها « حرب الطيارات » وقد شملت المباراة شعراء فلسطين والاردن (١) .

وقد اعتقلته السلطات البريطانية ثلاث مرات ابان وجوده في القدس ، دون ان يحاكم الا في واحدة منها ، اتهم فيها باغتيال المستر آيليف مدير المتحف الفلسطيني في باب الساهرة ، ولم ينقذه من حبل المشنقة الا تمسكه بعروبته ، ومحافظته على العادات العربية النبيلة ، التي ورثناها عن اجدادنا ، ومنها حماية الجار ، لان المستر آيليف كان الموظف الانكليزي الوحيد ، الذي ابى مغادرة حي باب الساهرة العربي ، واصر على البقاء بين اظهر جيرانه العرب اصحاب الشهامة وحماة الجار . ويرجح ان الانكليز هم الذين اغتالوه ، لانه كان يحب العرب ، ولانهم يريدون التخلص من الشاعر العدناني الذي كان يزعجهم جدا بقصائده الدرية وحملاته الشعواء المتواصلة، وتوجيهه طلابه شطر الاستقلال والوحدة وطرد المنتدب

(١) انظر صفحة ٢٥ من ديوان اللهيب للاستاذ محمد العدناني .

الانكليزي الغاشم والاسرائيلي الصهيوني الدخيل . ولم يدر ببال الانكليز ان اثبات التهمة على العدناني كان صعبا ، وان مدير معارفهم العام المستر فيول الارلندي كان يحبه لجراته في اظهار مقته للانكليز الذين كان يكرههم قلبيا كما يكرههم كل ارلندي كاثوليكي .

وفي الحرب العظمى الثانية نفي الى يافا ، لاسباب سيشرحها في مذكراته السياسية التي ستنشر فيما بعد . وبعد انتهاء الحرب ، ومرور خمس سنوات على نفيه ، اعاده المستر فيرل الى القدس رئيسا للقسم العربي للامتحانات الجامعية في دائرة المعارف العامة .

وفي عام النكبة الاولى ، عام ١٩٤٨ م. يمم مدينة الزرقاء الاردنية ، مشردا عن وطنه الحبيب ، حيث اقام في تلك المدينة ستة اشهر ، ثم برحها الى سورية حيث درس في الجامعة السورية ثم في جامعة حلب ودار المعلمات والمعلمين فيها ، الى ان تقاعد عام ١٩٦٤ ، ثم انتقل الى صيدا مديرا لكلية المقاصد فيها مدة ثلاث سنوات ، عمل بعدها مديرا اداريا لشركة المقاولات والتجارة (فرع المدينة المنورة)، وفي صدر عام ١٩٦٨ انتهى مشروع الشركة هناك ، فعاد الى صيدا (لبنان) ليتفرغ للانتاج الادبي الضخم ، ويعيد النظر في سبعة دواوين شعرية مخطوطة ، وعشرات الكتب الادبية ، والقصص والاقاصيص الموضوعة والمترجمة ، وعدد كبير من البحوث اللغوية منها « معجم الاخطاء الشائعة » الذي صدر في بيروت في شهر اذار ١٩٧٣ .

اعماله الادارية : كان رئيسا لجمعية العروة الوثقى الادبية في الجامعة الاميركية ببيروت ، وهو في السنة النهائية من كلية الآداب ، ورئيسا لقسم المحاضرات في بناية وست في الجامعة نفسها ، ورئيسا للجنة التنفيذية العليا للاتحاد القومي الفلسطيني في محافظتي حلب وادلب ابان الوحدة بين مصر وسورية (الجمهورية العربية المتحدة) . وقد استطاع الابقاء على الاتحاد الفلسطيني سنة كاملة بعد الانفصال ، رغم ان الاتحادات الاخرى جميعها قد اغلقتها الدولة في جميع المحافظات الاخرى ، لاقناعه اولي الامر بضرورة المحافظة على الشيء الوحيد الذي يمثل الفلسطينيين . ولولا الضائقة المالية التي اجتاحت الاتحاد ، لظلت ابوابه مفتوحة الى الان . هذا عدا رئاسة ادارية للقسم العربي للامتحانات الجامعية بفلسطين ، وكلية المقاصد بصيدا ، وشركة المقاولات والتجارة ، بالمدينة المنورة كما ذكر آنفا .

شعره : اهتم الشاعر الكبير باللفظ اهتمامه بالمعنى ، وحاول جهده ان تكون لغته صحيحة .. عملا بنصيحة امير الشعراء احمد شوقي ، وما كتابه « معجم الاخطاء الشائعة » الذي ظهر قسم منه تباعا في مجلة « الاديب » البيروتية قبل طبعه ، والذي جذب اليه انظار كثير من ادباء الاقطار العربية والمستشرقين ، واستقى مادته من امهات المعاجم القديمة جميعها ، واشهر الحديثة منها ،ومن احسن كتب النحو والصرف القديمة والحديثة، ولم يبذل الاديب الكبير كل ذلك الجهد الجبار الا ليفوز بلغة صحيحة في شعره ، الذي لا يدعي فيه الكمال ، لان الكمال لله وحده . وانا اشهد انه لم يدخر جهدا لجعل النسج قويا ، والخيال مجنحا ، والمعنى مشرقا .

وله غزل متأجج العاطفة عفيف ، يدخل خدر كل عذراء دون استحياء ، وشعره كله تمتزج فيه العاطفة بالعقل امتزاجا يزداد في الغزل والهجاء والشعر القومي ، والرثاء ، وشعر الثورة على المستعمر ، والحنين الى فلسطين ، ويقل امتزاج العاطفة فيه بالعقل ، في الوصف والتوجيه الاجتماعي والخلقي .

وللشاعر الكبير شعر قومي جزل ، تتأجج في ابياته محبته لامته ، وايمانه برسالتها وعظمتها وخلودها ، شعر كاد يسجل به كل حادثة بارزة من حوادث العالم العربي خلال نحو نصف قرن من الزمان ، ينسج في قوة شعر المتنبي ، ووضوح شعر البحتري ورقته ، وخيال ابي تمام وسموه ، كما قال عنه النقاد ، وجميع دكاترة الآدب الذين كتبوا عن الشاعر العدناني الثائر ، والذين حاضروا عنه في الجامعات عامة ومعهد الدراسات العليا بالجمهورية العربية المتحدة خاصة ، والذين تناولوا شعره بالدراسة في المجلات والصحف والاذاعات ، وعدوه من شعراء الطبقة الاولى في العصور الادبية العربية كلها .

وللمترجم شعر اجتماعي انتثرت قصائده في ثلاثة من دواوينه (العبير ، والروض ، وزهر) ، وقد خص الجزء الثالث من (العدنانيات) بقصة شعرية رمزية عن الام وتضحياتها العظيمة ، اسماها (ملحمة الامومة) ، نظمها بشكل موشح ، ونال بها ثناء في العالم العربي كله واعجابا عز ندهما في اذاعاته وصحفه ومجلاته . وهي الملحمة الوحيدة عن « الام » في الشعر العالمي .

اما شعره الانساني والوصفي والاخواني والفكاهي وهجاؤه الخفيف الظل ، فانني احيل القراء على دواوينه ، لينهلوا من ينابيعها العذبة ، حتى ترتوي نفوسهم من وعي هذا الشاعر ، الذي اتنبأ ان يكون له شأن كبير ولاسمه دوي عظيم ويصبح في مصاف الخالدين وذلك بعد دراسة انتاجه الرائع بعمق لتقييمه .

نماذج من شعره : سأحاول ان اجني من كل روض من رياض العلامة العدناني زهرة لضيق المجال هنا ،واكتفي بايراد انموذجات قليلة من تلك الازاهير الارجة في فردوس الشعر العربي الخالد .

قال في العفو عن اخطاء بني قومه :

هممت بلوم العرب لوما مدويا ... على ما بدا منهم ، فردتني القربى
فان دمي منهم ، وعزي عزهم ... وبيتهم بيتي ، وان نزلوا القطبا
وجرحهم جرحي ، اذا سال مضني ... كما مضهم ، والخطب يورثني خطبا

لئن ثلموا حدي ،شحذت حدودهم   وان امعنوا في البعد ، زدتهم قربا
وان نكثوا عهدي ، حفظت عهودهم   وان اظهروا بغضا ، غمرتهم حبا
وان ملاوا بالشوك دربي اليهم   ملات لهم وردا الى قلبي الدربا

وقال في الحنين الى وطنه « فلسطين » بعد نكبة عام ١٩٤٨ .

ايا وطني ! أتسمع خفق قلبي   وقد جن التياعا وانتحابا
ينادي ، والجراح لها جفون   تدفق دمعها القاني عبابا
لئن ناديتني ، وانا صريع   توسد في دجى الرمس الترابا
تنيزت اعظمي ، واتتك روحي   فكانت للنداء هي الجوابا
مجنحة الهوى ، ترنو حنينا   وتهفو من اعاليها شهابا
ستسمع شدوها ولهى تبدى   كانفاس النسيم شذا مذابا

واذهلت الشاعر العدناني نكبة حزيران الفادحة عام ١٩٦٧ وكاد يجن جنونه فقال :

انا لا اصدق اننا   امس انهزمنا ، لا اصدق
قول اذا استمعت اليه   الروح يوما ، كاد يزهق
ويجمد الانفاس في   صدري ، وفي ليلي يؤرق
ويذرف العبرات حتى   روضة الآمال يغرق
انا لا اصدق اننا   امس انهزمنا ، لا اصدق

وقال في احدى ساعات اليأس من قومه :

يا بسمة عرفتها العرب حول فمي   غيضي ، فان المنى زلت بها قدمي
واترع اليأس كاس النفس، فاندفعت   ولهى ، تخبط في يم من الظلم
وكلما لاح في شطآنه امل   خضت العباب بعزم غير منثلم
حتى اذا خلتني ادركته ، رجعت   احلامي الفر بي مخضوبة بدمي

ويؤنب زعماء قومه قائلا :

ايا زعماءنا : خلوا التلاحي   فقد ذقنا اذاه مشتتينا
ونمنا فوق بركان الرزايا   وقد ثارت منايانا جنونا
دعونا من تفرقكم ، دعونا   وكونوا كالصفا متماسكينا
اما كنتم على اشهى وفاق   غداة اطعتم الخصم اللعينا

وصف العدناني ما يجب ان يكون عليه الزعيم :

ان الزعيم هو الفادي رعيته   بالروح ، لا بالبيان الفذ والخطب
ان الزعيم هو الباني معاقله   بساعد ليس يشكو وطاة النصب
والساهر الليل يرعى فيه امته   وليس يقعد عن سعي ، وعن دأب

وجاء في قصيدة شاعرنا العدناني الخالدة في رثاء امه ، التي قضت نحبها ، بعد مرور عام على نكبة فلسطين الاولى سنة ١٩٤٨ ، بينما كان « ابو نزار » يمني النفس بلقائها :

أأماه ! لم اعرف سواك حبيبة   اعذبها صدا ، فتوسعني لثما
ولم ار اسمى منك قلبا وخلة   ولم ار احلى منك شما ولا ضما
أريت فؤادي في عناقك لاهبا   معاني ، لا ليلى نمتها ولا سلمى
وفي ارج الانفاس طيبا تزاحمت   عليه وفود الزهر تخطفه شما

اما الحكمة عند شاعرنا .. فهو فيها نسيج وحده . وفي وسع المرء ان يجمع من دواوينه الاثني عشر ،ديوانا كاملا في الحكمة . فمن ذلك قوله :

ينبت الحقد ، وينمو كلما   زاده الظالم بالري عنادا
ثم يهوى منجل والشعب على   عنق الغاشم يبريه حصادا

وقوله :

متى صحت الليوث ارتج غاب   من التزآر يقصف في الفضاء
وهرولت الكلاب بلا نباح   لتبحث عن مكان لاختباء

وقوله :

هيهات ينجو الظالمون   من انتفاضات الشعوب
قد يسلام الزمن الجرا   ح على يعي آس اريب
فيجف نزف نجيعها   وتظل آثار الندوب

نثره : ان نثر ابي نزار ، رغم قوته ومتانة سبكه ، هو السهل الممتنع ، فهذه قصته المطبوعة « في السرير » لم ار حتى الان شخصا بدأ قراءتها ألا تشبثت به وحتمت عليه انجاز قراءتها في اليوم نفسه ، وقد روى لي كثيرون من اصدقاء العدناني انهم سهروا حتى ساعات مبكرة من الصباح لكي يتموا قراءتها .. وانني حين قرات هذه القصة لازمتها من الصباح حتى المساء ولم اشعر بأن يوما قد مضى لما فيها من جمال سبك ، وروعة اسلوب ، واحداث مترابطة ومثيرة .

وتكاد تجد روح الدعابة ظاهرة في معظم كتبه وقصصه ومقالاته ومحاضراته ، وهي تقع في عشرات المجلدات . وحسب القارىء الاطلاع على قصته في السرير ليؤيد رايي في نثره . وفيما يلي نموذج من نثره .. وهو رسالة وجهها للاستاذ البير اديب يقول فيها :

« شفاك الله وعافاك ، وازال عنك البأس ، ورد الى قلبك الكبير ، الذي اتسع لجل ادباء الضاد اصدقائك الصحة والعافية . لقد اقلقني جدا مرضك ، واقض مضجعي الهاتف الذي نقل الي نبأ ثورة ابن جنبك ، ولقد وددت لو استطعت الوصول اليك في صومعتك ، وصعود ما يربو على ثمانين درجة ، ولكن قلبي الذي اتعبني بحيويته شابا ، وبتضخمه وفوضى نبضاته وتصلب شريانه التاجي كهلا ، حمل طبيبي القلب في بيروت وصيداء على ان يصرا على منعي من صعود اكثر من عشر درجات .

ولكنني سأعمد الى غش قلبي ، فآتي الى منزلك العامر كعبة ادباء العالم العربي ـ واصعد درجاته ، وانا ادير لها ظهري ، لكي يظن قلبي انني نازل (لحسن حظي انني لست آنسة ،والا كنت نازلة والعياذ بالله) لا صاعدا، فلا ينتفض في صدري كما ينتفض العصفور بلله القطر .

حفظك الله للادب الرفيع ، وللعرب والعروبة ،والى لقاء قريب ايها الاخ الحبيب ، الذي استطاع بلطفه ورقته وحبه العبق ان يخرجني من عزلتي الادبية ويحطم الستار الحديدي الذي ضربته حول نفسي » .

وللعلامة العدناني مقدرة فائقة في الترجمة الى العربية ، ولولا ذلك لما اختارته حكومة فلسطين ابان الانتداب ـ وهو استاذ الادب العربي عندها في الكلية الرشيدية بالقدس ـ لكي يقوم مع بضعة ادباء بترجمة تقرير لجنة اللورد بيل الملكية البريطانية الى العربية .

مؤلفاته : الف المترجم الكثير من الكتب ، ونظم الكثير من القصائد ، وكتب الكثير من المقالات ، لكنه لم ينشر الا القليل من منظومه ومنشوره . واليك اسماء ماطبع له من المؤلفات :

1 ـ الليب (شعر)، ٢ ـ ملحمة الامومة (شعر) ٣ ـ فجر العروبة (شعر) ، ٤ ـ الوثوب (شعر) ، ٥ ـ الروض (شعر) ، ٦ ـ امير الشعراء شوقي ، ٧ ـ في السرير (قصة) ، ٨ ـ ابو بكر ، ٩ ـ النحو البسيط ١٠ ـ الاعراب (خمسة اجزاء) ، ١١ ـ الروضة (خمسة اجزاء) للمحفوظات بالاشتراك مع آخرين ، ١٢ ـ سلسلة الطرائف للاطفال (ثلاث قصص) ، ١٣ ـ معجم الاخطاء الشائعة ، ١٤ ـ ٣٦ كتابا وقصة مترجمة عن الانكليزية .

اما مؤلفاته المخطوطة فهي كثيرة بلغ عددها ٣٧ كتابا وانني لارجو الله ان تطبع لما فيها من فائدة لجميع ابناء العروبة ، وحري بدور النشر ان تعمل على التهافت لنشرها .

دمشق — **حسان بدر الدين الكاتب**

الارض السعيدة

●

سمعتك تمدحين جمال ارض — ايا امي ، تفيض جنى وشهدا
دعوت الساكنين بها اناسا — يذوقون المدى فرحا وسعدا
فانى شطها الوهاج يغدو — مشعا موجه جزرا ومدا
ولم لا نبتغي سعيا اليها — فلا نشقى طوال العمر كدا
فهل هي حيث زهر الحقل زاه — وحيث يداعب العصفور رندا
وحيث العندليب بحلو شدو — يناغي الصبح والازهار تندى
وحيث العشب مخضل جميل — تغازله الفراش جوى ووجدا
ـ فليست ، يا بني ، ترى هناكا

وهل هي حيث يسمو النخل زهوا — باشهى الثمر ، حلو الطعم جدا
وهل هي في جزائر خالدات — تموج بخضرة وتضوع ندا
وتطرب غابها المعطار طير — تغني ، والنسيم يهب بردا ؟
ـ فليست، يا بني ، ترى هناكا

وهل هي في مكان حيث تجري — نهور فوق رمل ضاء وردا
وحيث الماس يسطع مثل شمس — ويلمع لؤلؤ كالبدر فردا
هنا ، اماه ، تلك الارض تبدو — نعيما شاقنا مثواه رغدا
ـ فليست، يا بني ، ترى هناكا

فتلك الارض لم تلمح بعين — ولا عرفت لها شكلا وحدا
ولم يسمع اغانيها اناس — ولا جن لدنياها تصدى
ولا تغشى مغانيها شجون — ولا غش بها يحتال عمدا
ويعجز عن تصورها خيال — دنى براقة حسنا ومجدا
وذلك انها تسمو بعيدا — وراء القبر ، حيث نخال خلدا
هنالك ، يا بني ، اجل هناكا !

عبد الله صالح

مصطلحات نقدية ـ اصولها وتطورها حتى نهاية القرن السابع الهجري

بقلم خير الله علي السعداني

* * *

في النقد العربي (١) طائفة كبيرة من الالفاظ التي استعملت مصطلحات لها دلالاتها الخاصة . ولم يكن عدد هذه الالفاظ بالقليل ، فهي كثيرة متنوعة ، منها ما يتصل بالشعر ، ومنها ما يختص بالشاعر ، ومنها ما هو للشعر والنثر على السواء . وهي متباينة في طول الزمن الذي عاشت فيه ، الا ان اكثرها عمر طويلا . وابرز ما يلفت اليه النظر في هذه الالفاظ ـ على كثرتها وطول العهد بها ـ انها لا تثبت على على حال واحد من الدلالة الا في النادر القليل ، فغالبا ما كانت تخرج في دلالتها من طور الى طور ، او يتغير مفهومها سعة وضيقا . ولم يكن تطورها ليسير بها دوما نحو النضج والاكتمال ، فقد يحدث ان تتبدل دلالتها باختلاف الزمان ، او تضاف الى معناها الاصلي اضافات على مر العصور . وقد تختلط دلالة لفظة بين استعمالها الاصطلاحي الديني الذي كان لها ، واستعمالها النقدي الصرف ، بل قد يختلف معنى اللفظة الواحدة باختلاف صيغها بين الفعل منها واسم الفاعل . ان هذا الاضطراب في دلالة مصطلحات النقد من شأنه ان يؤدي الى ان يكون المصطلح غائما ، في ذهن الباحث ، لا يفصح بدلالة نقدية صريحة ، فلا يستطيع المرء ان يطمئن الى دلالة المصطلح على معناه المقصود . ومن هنا كانت الحاجة الى دراسة هذه الالفاظ وتحديدها بدلالتها في زمنها وتطورها ،لتحدد هذه الدراسة طبيعة المصطلحات ومضمونها النقدي الخاص ، ولتضع امام الباحثين حدودا تعصم من تضليل هذه الالفاظ . وازاء غياب مثل هذه الدراسة وشعور المرء بضرورة الموضوع واهميته الخاصة اختار كاتب هذه الرسالة ان يوطن نفسه على ان يتحمل اعباء العمل في حدود طاقته . ولما كانت مصطلحات النقد كثيرة العدد ، وعاش اكثرها زمنا طويلا ، اختار عددا منها للدراسة ،هو الاكثر تنوعا والاقرب الى رسم الخطوط العامة للمصطلحات النقدية ، لتكون هذه الرسالة نموذجا لدراسة المصطلحات منهجا ومادة .

وكان مقتضى البحث يتطلب تعقب المصطلح في طوره اللغوي ، اذ هو لفظة لها دلالة مادية تنتقل بعدها الى موضوعات من الحياة اليومية فتتسع دلالتها ، ثم استقراء اللفظة بعد دخولها ميدان الادب موصولة بموضوع ادبي معين ، وايضاح ما يحدث لها في الحياة الادبية من تغير وتطور على اختلاف العصور . واذ كانت الدراسات المنهجية والرسالات الجامعية تقتضي تحديد الموضوع زمانا ومكانا وكما ليمكنها تعمقه ، رأى الدارس ان يقف في دراسة المصطلحات عند نهاية القرن السابع الهجري ، لانه لم ير شيئا مهما اضيف الى المصطلح بعد هذا التاريخ ، فكان ان ركز دراسته على المصطلح في عصر التطور والازدهار . ومع هذا فانه حاول ان ينظر في هذا الكتاب او ذاك مما الف بعدئذ ، فراى ان هذا النوع من العمل يستدعي وقتا كبيرا دون ثمرة تذكر .

ومن البين ان موضوعا بمثل هذه السعة وهذا الامتداد يتطلب كثيرا من الجهد وكثيرا من العناء ، فان ميدان الدراسة واسع ، والعمل فيها متشابك يلزم بقراءة كل ما في الموضوع من مصادر . وقد بذل الدارس اقصى ما لديه من جهد وعمل في حدود ما تيسر له ، فقرأ كثيرا من المصادر ، فوجد مادة في معظمها ولم يجد في بعضها شيئا ذا بال . وكثيرا ما مضى الوقت في قراءة كتاب دون ان يجد شيئا ينفع سوى الاطمئنان الى انه قرأ هذا الكتاب . وكانت مصادره متنوعة الميادين ، الا انها يمكن ان تقسم قسمين رئيسين :

١ ـ معجمات اللغة : وهذه اعتمدت لدراسة الاصل اللغوي للمصطلح منذ كان لفظة لها دلالة مادية تشعبت منها دلالات اخرى لموضوعات من الحياة اليومية . ومن النادر ان يجد المرء معجما ينص على اصل اللفظة (المادي)، وعلى تفرع معنى من معنى سابق . ولم يرد من ذلك الا شيء قليل وجدنا آثاره عند ابن فارس في (معجم مقاييس اللغة) وعند الزمخشري في (اساس البلاغة). فكان على الدارس ـ والحالة هذه ـ ان يجتهد ما امكن في الوصول الى الاستعمال الاقدم او ما يراه الاقدم ،مراعيا طبيعة تطور الاشياء من المادي الى المعنوي ، واستشهد لذلك بما راى من نصوص الشعر والنثر .

٢ ـ المصادر الادبية والنقدية : وقد كشفت عن اللفظة في طورها الاصطلاحي . وهذه المصادر على انواع هي : كتب الادب كالبيان والتبين والاغاني ، وكتب النقد (نظريا كنقد الشعر وتطبيقيا كالموازنة) . ودواوين الشعر وكتب الاعجاز ، ومصادر اخرى ثانوية من كتب البلاغة وكتب التراجم . وقد التزم الدارس ـ لدى استقصائه النصوص الادبية في هذه المصادر ـ ان يبدأ بالنص الاقدم او ما يراه الاقدم ، في حدود ما يعلم . ثم

(١) نص كلمة الدفاع التي القاها الطالب لدى مناقشة رسالته يوم ١٢ ـ ٥ ـ ١٩٧٤ ، ونال بها درجة الماجستير بتقدير « ممتاز »من جامعة بغداد .

درس النصوص الاخرى حسب التدرج الزمني .

ومناسب ان نذكر ان ما الف حديثا من مراجع نقدية عنيت – اكثر ما عنيت – بالتاريخ او بذكر قضايا تتصل به ، وندر ان سعت الى تحديد المصطلح وزمانه او راعت الدراسة التاريخية لهذا المصطلح .

اما ما يتصل بالمصطلحات نفسها من حيث النوع والعدد ، فقد ظهر لدى الدراسة انها كثيرا ما تتشعب وتفترق على شكل مجموعات ، ترتبط كل مجموعة منها بمفهوم من مفهومات النقد ، وتضم كل مجموعة عددا من المصطلحات التي غالبا ما كانت تتداخل دلالاتها وتتشابك، بحيث يمكن ان يحل احدها محل الاخر في الاستعمال ، فكان مناسبا ان يطلق اسم « العائلة » على كل مجموعة لما في هذا الاسم من الدلالة على التشابك والتداخل .ثم سميت العائلة باسم احد مصطلحاتها، هو الاهم والاشهر في عصره ، فكانت هناك عدة عائلات موزعة – في هذه الرسالة – على ثمانية فصول ، ومرتبة وفق ما بين العائلة وجاراتها من صفات المشابهة او المخالفة .

ففي الفصل الاول درست المصطلحات التي تصدر عن مفهوم العرب عن مصدر الشعر خارج ذات الشاعر فكانت عائلة « الشيطان » التي تضم الفاظ : الجن والشيطان والوحي والالهام مما يتصل بعملية الخلق الادبي لدى الشاعر . وقد رأينا ان لفظة الجن اقدمها استعمالا اذ وردت في نصوص جاهلية . وكانت صلة الشاعر بالجن تختلف قوة وضعفا بين شاعر واخر . واستمر هذا المفهوم في الاسلام ، بيد ان شعراء هذا العصر كانوا حريصين على استعمال لفظة « الشيطان » بدل الجن ، ناقلين لفظة الشيطان من استعمالها الديني الذي يدل على الجن الذي فسد وفسق الى الاستعمال الادبي . ومن هنا اقترن الشعر الذي يصدر عن الشيطان بالموضوعات الرديئة كالهجاء . ثم ضعف استعمال اللفظة شيئا فشيئا على مر العصور . وقل ان استعملوا لفظة ابليس (وهي من نظائر الشيطان) بهذا الصدد . ولكلمتي الوحي والالهام صلة بالموضوع ، فهما تصفان العلاقة بين الشاعر ومصدر شعره ، وما تنطوي عليه هذه العلاقة من السرعة والخفاء في القاء الشعر وتلقيه ، ولكنهما لم تتضمنا تصريحا بنسبة الشعر الى احد . وغاية ما في الامر ان اللفظتين تدلان على وجود طرفين لعملية الشعر ، هما الشاعر ، والمصدر المجهول . ومما يلاحظ – بهذا الشأن – ان الشعر الذي اقترن بهذه المصطلحات كان في غالب امره من جيد الشعر .

وفي الفصل الثاني مصطلحات ، تنبع من عملية الخلق الادبي داخل ذات الشاعر ، فكانت عائلة (الطبع) وما تضمه من مفردات هي : الطبع والقريحة والهاجس والخاطر والغريزة والسجية والبديهة والارتجال . كان الطبع اشهرها وادل عليها ، فهو يقابل الصنعة والتكلف القول . وكثيرا ما يتشابك الطبع والقريحة في الدلالة ولكن القريحة اقل قليلا في الشهرة والاستعمال . وكان الهاجس يدل ، اول امره ، على جني الشعر ، غير انه ما لبث ان ابتعد عن هذا المعنى ليقترن بذات الشاعر ومواهب نفسه ، وليكون له معنى الخاطر الذي اشتهر اكثر منه والذي كان له – في بعض الاحيان – معنى القريحة . اما الغريزة والسجية فهما تدلان على الموهبة ، الا ما كان من استعمال الغريزة في بعض النصوص بمعنى الذوق . واستعملوا لفظتي البديهة والارتجال ناظرين الى مظاهر السرعة والمفاجاة في النظم . وكانتا تردان بمعنى واحد حتى القرن الخامس اذ اصبحتا تدلان على درجتين من معنى واحد .

ويقابل الطبع مفهوم آخر لوحظ فيه قصد الشاعر الى قول الشعر وقصده ايضا الى تنقيحه وتجويده والصبر عليه ، فكان الفصل الثالث يضم عائلة « الصنعة » ومفرداتها : الصنعة والتكلف والروية والتنقيح والتثقيف والتهذيب والتحبير والتحكيك . اهم هذه المصطلحات : الصنعة والتكلف ، وكثيرا ما استعمل هذان المصطلحان مترادفين . ولهما نصيب كبير من التطور بالقياس الى سائر مفردات العائلة ، الى جوار ما لهما من عمر طويل . اما سائر المفردات فلا تكاد تختلف فيما بينها بالمعنى ، فهي تدل جميعا على تجويد الشعر وتهذيب الفاظه وتراكيبه او اعادة النظر فيه بعد النظم .

ثم كان الفصل الرابع خاصا بعائلة (النظم) التي تتضمن مفردات تصف الشعر نفسه في عمله وصنعه ، هي : النظم والسبك والصوغ والنسج والحوك والبناء والرصف . كان النظم اهمها واغناها . واذا كان كل مصطلح في هذه العائلة يتصل بتكوين الشعر ، فان هذا التكوين يرد للعبارة الواحدة والبيت الواحد والقصيدة التامة على السواء دون ان نجد ما يختص منها بتكوين القصيدة مثلا ، او ما يقتصر على تكوين الابيات او العبارات الشعرية .

وشمل الفصل الخامس مصطلحات تلتقي في الدلالة على ما يتعلق بعملية الخلق الادبي من حيث بدوها وانقطاعها . اختصت لفظة (نبغ) من بينها بالدلالة على ظهور الشاعر بقول الشعر بعد ان لم يكن شاعرا . وقد تشير في بعض استعمالاتها الى التجويد والبراعة الى جوار دلالتها على الظهور بالشعر على غير انتظار . اما الالفاظ الاخرى ، وهي : المفحم والمغلب واخمل واجبل واصفى – فتدل على انقطاع الشاعر وكفه عن النظم عجزا عنه ، لسبب او لآخر . وانفردت صيغة اسم الفاعل من لفظة « اجبل » للدلالة على الشاعر الضعيف . وندر ان استعملت هذه الالفاظ بعد القرن الرابع .

ومن المصطلحات ماارتبط بموضوعات الشعر الرئيسة التي يطرقها الشاعر كالنسيب والمدح والفخر والرثاء ..

أغني

أتمنى ان احيا ابدا
روحا في الدنيا .. لا جسدا
فاطوف بروحي بين النا
س .. وانثر وداً .. مفتقدا
واغور باعماق الاجسا
د ... وانزع منها ما فسدا
واقبل انفس ما حقدت
ابدا للحب .. تمد يدا !
واصوغ مع الايام لها
من روحي ارواحا مددا

حلب — **محمد مرعي مهنا**

اذ اصطلح على هذه الموضوعات بالفاظ خاصة ، تكونت منها عائلة « الفن » في الفصل السادس ، كان الفن اقدمها واغزرها استعمالا ، وكان الغرض ادخل من الفن في الاصطلاح ، وان تأخر عنه في الزمن . وللضرب والصنف — وهما من مفردات العائلة ايضا — معنى الغرض ولكنهما اقل اهمية من اللفظتين الاوليين واقل عمرا ايضا .

واختصت الفاظ اخرى بالدلالة على منحى الشاعر في شعره ، سواء في الفاظه او معانيه ، فكانوا يطلقون على هذا المنحى الفاظا متعددة هي : المذهب والطريقة والاسلوب والنمط والطراز والمنهاج ، وهي موضوع الفصل السابع . فالمذهب والطريقة هما الاطول زمنا والاكثر استعمالا ، الامر الذي منحهما بعض ملامح المصطلح ، وان كانت لهما دلالة ادبية عامة على منحى الشاعر . وكانت لفظة الاسلوب تتحدد في بعض ما استعملت فيه لتدل على طريقة في نظم الكلام حينا ، وعلى طريقة الشاعر في بناء المعاني وتنسيقها في القصيدة حينا اخر . اما الالفاظ الاخرى فهي اقل تداولا واقل شأنا ، وغالبا ما استعملت مترادفات .

وكان من المنتظر ان يكون لكلمة (الطبقة) نظائر تدل دلالتها او قريبا من دلالتها ، فتنتظم معها في عائلة واحدة . وقد استعملت بعض الالفاظ مثل المرتبة والمنزلة ، ولم يقدر لها ان تكون من المصطلحات مما جعل كلمة الطبقة وحدها دون عائلة فدرست لاهميتها وخطرها في النقد . فهي تتصل بالنظر الى الشعراء عامة والحكم لهم او عليهم ، فقد وردت اول الامر بدلالة ادبية عامة هي الحال ، فرأينا الشعراء يقسمون الى طبقات هي الفحل الخنذيذ والمغلق والشاعر والشعرور . ثم ظهر للطبقة معنى نقدي يدل على تأمل واستقصاء وبصر بالشعر ، بلغ هذا المعنى غايته لدى ابن سلام حين جعل كل اربعة شعراء متشابهين في الشاعرية طبقة ، ويكون تدرج الطبقات حسب درجة الشاعرية . ولم نجد بعد ابن سلام من تبنى هذا المفهوم للطبقة ، فانصرفت اللفظة للدلالة على معنى زمني هو « الجيل من الشعراء » بصرف النظر عن الشاعرية ، وقد تستعمل بمعنى آخر دون ان يصبح قاعدة .

يتبين مما مر بنا ان من هذه المصطلحات ما كانت له اهمية كبيرة في عصره ، وزاده مرور الزمان قوة ووضوح دلالة ، كالشيطان والطبع والقريحة والخاطر والبديهة والصنعة والتكلف والفن والغرض والنظم والطبقة من الشعراء .

ومنها ما قل شأنه على مر الزمن او مات ، واذاحدث ان استعمل بدا استعماله ضربا من التنطع ، مثل التحبير والتحكيك والمغلب واجبل واخمل واصفى .

ومنها ما يزال يرد في الحياة الادبية حتى الوقت الحاضر بمعناه القديم ، او بمعنى زائد — قليلا او كثيرا على معناه القديم — كالوحي والالهام والاسلوب والبناء والتنقيح والفن والغرض .

ان غير قليل من المصطلحات التي عرضت لها هذه الدراسة يستمر في الاستعمال بعد القرن السابع ، ويبدو انها لم تحظ بتطور ذي شان ، ولكنها — على اي حال — تستدعي عملا آخر لدراسة المصطلحات منذ القرن الثامن حتى العصر الحديث ، لتعمل هذه الدراسة على اكمال صورة المصطلح على مر العصور والتي وضحت لدينا — خلال البحث — اهم خطوطها في اصولها وتطورها ، ولتمهد السبيل لدراسة ما آلت اليه المصطلحات في العصر الحديث .

ولا انسى هنا ان اتقدم بشكري الجزيل للاستاذ المشرف الدكتور علي جواد الطاهر على ما بذله من جهد في تمهيد المنهج وتذليل الصعوبات ، ورعاية الموضوع منذ كان فكرة حتى صار دراسة مكتوبة .

وختاما ارجو ان اكون عند حسن ظن اللجنة الموقرة في الاخذ بما تقدمه على هذه الرسالة من ملاحظات ، آمل ان تعمل على اغناء البحث وانضاج الدراسة ولها الشكر سلفا .

بغداد — **خير الله علي السعداني**

امين نخلة اديب العرب وشاعرهم

بقلم فوزي سابا

* * *

تربى على الفخامة فما اخذه بعدها جمال ، الا وهو دون ما اشعت نفسه وعاشت عليه . وهو الى ذلك موصول العطاء ، حتى مجالسه الخاصة ، فالاصغاء فيها نعم تنهل كأنما القشوة من مخامير ادبه قد فتحت ، ولما له الرواح الى الضنى المفرح ، ويمر توق على مراياه ، فالمصفى من الجمال ، وانقى المنقى يترهب المرور ، والالوان تكسر اضواء مبهجة ، والحرف تكامل مع الحرف ، اليس في مثل هذا الابداع ، قيل صلاة شاعر وابتهال مترهب. ما حرم نوعا ولا حلل انواعا ، متى الرهبة ، فالجمال مطلق ، ولئن رفع بعضهم خدنه اديب مظهر في نشيد السكون لقوله :

ونبشت اظفارها تربه   واستخرجت جمجمة ناخره

فامين قال في بودلير :

برد الفيء المندى شفتيك   وجنا باللطف واللين عليك
كنت اشقى الناس في العيش فخذ   راحة الموت بكلتا راحتيك

ذلك اوحش القلوب واسلمها الى « جمجمة ناخرة » فأوجد في النفوس التقزز والقرف . وامين، بما اعتمره من حس وفخامات لين اللين حتى قسا ، وجمل الموت وحببه ، فليس فيه جماجم نخرة ولا ديدان، انه على رؤياه :

انا لو اعطيت جنت القبر في   رهبة الموت وقبلت يديك

رهبة الموت عند امين ، رهبة العمل الرائع للفنان ، وقد يكون سفرا طويلا توده القلوب وتأباه الاجساد ، فالوجد الفني في اين يجلس المفتن من الخلاق .

امين نخله ، استراح في مسراه الجمالي مرة واحدة، وانها لنادرة ، فقد حول التساؤل الى حدث ولم يتركه متأرجحا كما النوايا :

عيني على الدنيا وقلبي معك   ما ضيع العهد ولا ضيعك

قالها في رفيق صباه وخدنه ، فؤاد سعد ، الذي توفي في ريق الشباب . وانا على هذه المداهن الفواحة يحتلني اقتناع ، لا تزعزعه فلسفة مهما نمت لها جذور . ان الجمال هو منتدى النفوس على معادلة مع مستواها :

والذي روحه بغير جمال   لا يرى في الوجود شيئا جميلا

من مهاوي الانوار ، من اعالي المشارف الى الوادي الظليل الريان اكتحلت عينا امين نخله وجملت فيها المناظر ، فلا والائمد على رموش غانية ، ولما على شباب فالعين انسراح ، باستمراء ولا لجوء ، انها على مناخات، فيها الظن بلوغ والمدى على ابعد من الظن . توقظ في الخيال احساسا حادا جارحا ينتهي بالجوارح الى اللحاق به فتعبر مسارب الجمال ولا تحس بوجوده ، لقد اصبح لديها عاديا ، فنرى امين نخله ابدا جواب آفاق في عالمه الجمالي ، وتراه ابدا على حرص ، ان لا تفلت من نطاقه حفنة زهرة ، فقد يكون فيها الربيع بأكمله .

بعد قصيدة « العقد الطويل » والنعمى التي احلها على عقده هذا فالجاه بعد استمراء ، هجس فيه الجوع النهم ، واستدارت ابعاد بعدها ابعاد ، ادرك الامين انه استعجل الارتشاف والاسترخاء في عقده .

اذا قيل تم بدا نقصه   تأمل زوالا اذا قيل تم

وهل للجمال ابتداء ليكون له انتهاء ؟

وتطلع علينا « القصيدة السوداء » يزعمها بعضهم انها من نسج الخيال ، ويتروى الاخرون فهي عندهم مزيج من خيال وواقع ، اما الذين اقرهم الخلاق ثاقبي لؤلؤ وجاءت سجاياهم مؤكدة لهذا الاقرار ، فهم الخيرون، الذين لا قرار لهم ، وهل من رائعة استمرت على استقرار ؟

وهناك حيث غمامة عقدت   من فيئها للقائنا ركنا
تدعوك خلف السهل رابية   كانت لنا ولحبنا مغنى
ذكرت شبابينا فما نسيت   قدما ولا صوتا بها رنا

الا يرى صاغة الجمال ان اية غمامة لها هذه الاركان، فلماذا استخصها الامين بغمامة واحدة ، ذلك ان اي مسرى لناحية من الكمال الجمالي له تأثير في الحواس ، واجمل الفن ما جاء على تنوع وليس على اشتمال واكثره روعة ما تأصل في النفس وانصقل على الفخامات على اي شكل جاءت حتى البشعة القبيحة منها .

امين نخلة، فيما حظي به من تأهل للاخذ بنواصي الجمال وتجويده ثم ارجاعه الى الاخذين كما لم يتم لهم التعرف الى اشباهه ، متكامل مع نظريتين مختلفتين وجامع لهما على تناسق ، فمن حيث التراث احل النظرية القائلة به ، وكفاه ان يرث عن ابيه الرشيد الشاعر ، شتاتا مما كان عليه من سماحات فنية ، ومن حيث البيئة والمناخ والمحيط ، جمل المناخ بما اوتي به من جمالات قد يكون عليها ، انما لم تسعد بعين تقرها او تراها فالنعمة عليها ان الامين كان العين الرائية والهاتف بها حتى يراها المبصرون . مقدر هو على الجمال ، وعلى الرائع الخارق منه ، فتسنى له ان يحدد من خلال انتشاءاته الفنية اختلافا ما زال عليه العالم فيقتصره ، بان التراث والمناخ متى لهما الاخذ ساعدا بساعد ، لهما الكون الغني الذي يقوم على كليهما .

قادر على نفسه مكذب لها ومصدق ، وعلى هذه اليقظة النهمة اصبحت لديه التخمة جوعا ، والجوع استلهاء ، لكأنما يمسك بازهار بودلير الشريرة ، ويتبطن ما فيها من الم مطهر ، فيزداد امعانا في الشر لتتناسب مع التوبة الشفافة بين مدى السطور ، وعلى مدى ما فيه من تحرق للمنال جعل حياته ، اجتماعية كانت ام ادبية،

تحرق التحرق على مدارج التمهل وما اختزانه للطيب والختم عليه ، وضجيجه ولا السيل من اعالي البـاروك حتى السهل حتى الوادي ، الا من هذا الاحتراق الذاتي .

في سمحة عطرة استتب امري الى مكتبة امين نخلة ، فلمحت الى ما يحيط بي من كتب ، فواللهما لمست كفي كتابا في اصول اللغة ومعاجمها ، وما اكثرها ، الا وله شروح ونصوص على حواشيه . ولما على سادات الشعر المنقى المصفى ، له الرواح الى ام الجمال في انسان الروائع فعلى كل هامش صفحة له استمراء وله عتاب .

في مكتبة الامين تعجم عيدان حياته ، فالحياة فيها على وضوح لو اصابها رسام او مثال ، لاصدرها كما نرى الى امين . يعتق مخاميره ، ثم يكشف عن قشوتها ، ومن يعلم كم ضجت قبل الكشف فلمسته الاخيرة لم تكن للرفق او الشفقة ، قد تكون الضربة الراحمة ، وقد تكون الظالمة ، فهذا المفتن حتى بنفسه له سؤدد وله بساط ، وله بـلاط .

ويتآكل النقاد امر هذا الاديب ، فيرجعون ادبه الى التقليد فلا يجدون له مقلدا ، ويرجعونه الى التراث ، لكن اذا نسبناه الى ابيه ظلمناه وظلمنا اباه . ولئن قلنا عن قصيدة ـ ام موسى ـ نؤاسي ، ظلمناه وظلمنا ابا نؤاس، فنخرج الى الواقع ، انه صناعة مفردة ، كذا تزهو الروائع .

لكثرة تحسسه الحرف ملس على انامله واستشف، والقول : اي اكثر انجذابا الى الاخر ، لتحس ان الحرف متى تناوله امين اكتسب خاصة تميزه عما كان عليه فتخال انك على ابجدية جديدة تتفاعل في انسجام كما في العمل الموسيقي ويشع من الكلمة مناخ له ما في السينفونيات العالمية تجتمع عليه الحواس مضيعة الوانها مؤلفة الناصع اليقق هو اللون النخلي الذي اعطى « المفكرة الريفية » و « اوراق مسافر » وغيرهما في النثر ، وما سوى من شعر في « دفتر الغزل »، و«الديوان الجديد» ، فشذا على الانوف ، ومداهن وفواغ على الاكف واين جيوب العطار من هذا :

الوقع من اقدامكم نغم وغبارها طيب الصبا ناسم

متى لوقع الاقدام هذا التلاسن المنغم ، فما القول عن حواس مشدودة الوتر مرنحته ، وقد لامسته انامل عربيد جمال . ما القول ، وغبار الاقدام صبا ونواسمها، ومعتقات مسحها كف كرام غرس الكرم واطلعه ، ولما القطاف له معه تآخي الخدين للخدين . كيف والحرف غزل مع اخيه الحرف على مواعيد ما خاب لها توقيت ، فالرصف عقود وكل ما يتجلى في ليل تعاقد مع الصحو يسمر على شامخات لبنان . الكلمة متى مرت على يدي امين فاما مؤبدة بسرمد ، واما مؤبدة الوأد ، من هذا المنطلق لامين على الحديث ما له على القديم ، انه على مطلق الاعصر :

ايقولون قديم ويحهم من يقول الشمس هانت معدنا

بين صدري وفمي لو علموا مفضي الوحي لردوا الاعينا

كما يعلو عالم عالما في المد العلمي ، للفن علو ابعد من هذا ، والكلمة هي ايضا معدن والحرف معدنها الفرد ، وعلى هذه المزايا العلمية قامت الفلسفة وعلى قواعدها تنمق الجمال وازدهر ، فالكلمة لها تأثير ابعد من العلم لانها تقره ، لذلك قال الاغريق فيها « اجيا صوفيا » اي الكلمة الحكيمة ، ومع العلم الحديث هي النسبة القائمة بين الجمال وصانعه ، وانها الابعاد المتفاوتة بين صانع وصانع ، وصناعة الحرف اسبر غورا للجمال من الرسم والصوت والموسيقى والنحت ، انها الكل في واحد، ففيها الصورة والصوت المنغم والموسيقى الملحنة ، وفيها اشباع الحواس الخمس التي عناها ابو نؤاس اشباعا لحاسة السمع التي تبقى ظمأى .

صناعة الحرف لها بعد اشباع الحواس رصف على الزمن ، ومن اجادها هانت لديه الصناعات الفنية ،والتمام الجمالي عند امين نخلة ، انه على جميع هذه الصناعات، فهو على الرسم الذي له عليه ريشة هي استجمام مع الندى من الظلال ، وانه الخطاط المبدع الاخذ بالصناعة منذ قط قلم وكتب باللغة العربية ، وانه الى ذلك ذواقة سماع ، يقول في سيد درويش :

يا ليت صيحة اه منك طوع يدي حتى الول لها طيري بنا طيري

فانه الكلمة الحكيمة التي استراحاتها مجامر عنبر وغزل مع العبق ، وعلى هذا التأنق الصوفي تتسلل الى الجوانح كرائم الجوهر وتبقى لكثرة الضنى الشفاف تتماهل مع التشوق خوف النفاد ، والعشق له الوان وانواع انما على شتى انواعه والوانه ، هو الحواس المرهفة :

يبكون من الم للاتهم ان لا تكون طويلة الامد

ويضرب ساحات الكبار ، فهو المعصب ، والى ذلك فهو ايضا فوق كل اغراء ، فقد تغرب في تفرده ، ليخشى على العصر من استيحاش متى القول : اين ومن ،والمجالات على عقبات . ويتخطر في الريف ، ولا اخال خطاه الا ذلك الوقع المنغم ، ثم « المفكرة الريفية » ، انها اغمار بر لايام جحاف ، وستبقى الاهراء الفنية حتى ولا جوع ، فالغلال فوق الغاية ، والحيرة متى الخير عمم ، انتتحول التخمة الى جوع ، ثم الى نهم . والنفس راغبة اذا رغبتها ، فكيف وشآبيب رغائب وسحائب تأخذها جدائل ومواكب من ضنى الوجد ، وشفافية الارواح المجهدة للخلوص الى معابير المغاور المسحورة حيث ثقب اللؤلؤ اقل الصناعات فتونا لكانه الازقة الخلفية والجادات الفخمة على محاذاتها .

لا تصدق راى العيون فللحب سبيل الى القلوب وباب

هكذا تتحول الازقة الى جادات ، فكلمة باب ، لكثرة ما استعملت ابتذلت وتخرقت فهي من العيوب حتى للمبتديء في صناعة الشعر ،امامامين نخله فقد استحالت

الى ابواب تخال من اعطي تلمس ستائرها المسحورة مفاتن، فكيف بمن يفتح له قبل ان يطرقها .

لا اعود الى « المفكرة الريفية » فقد استنفدت طاقات النقاد . وبقيت بعيدة المنال ، وكاني بامين نخله ، عندما عاد اليها ، وانه دائم العودة الى ابنائه ، الحرف والكلمة تمشيا مع فلسفته بان الفنان لا ينفض يده من صنيعه ، فلو عاد شكسبير الى الحياة لاعاد النظر في روائعه ، لكن حال امين مع المفكرة غير احوال سواه . امين نخله ارتفع عن ذلك وتناسى ان « المفكرة الريفية » له ، ومتى الاختلاف على اتمه بين الفنان وروائعه ، لا يبقى له سوى الامتثال للقـول :

اذا لم تستطع امرا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

وقد اجبر امين نخله على الاخذ بواقعية هذا القول، فلما صمدت « المفكرة الريفية » امام رواحه اليها واقدامه على التحليل والتحريم ومسح القشوة والتريث لمسحها ثانية والضجيج ابدا عليها كأنما لم تفض عنها اختام ،وجب عليه الارتياح ، لكن متى ارتاح الفنان ؟ لقد ازداد هما لان رائعته كشفته واظهرته ، وهو الذي اتخذها فيئا ، فراح الى سواها علها ترويه ، بعدما ضربته قصيدة « رأس العين » على الف معجم فاذا بين ايدينا « اوراق مسافر ».

الله كم على شفاه الواجدين من نسائم الجنة ، فالقطرة التي سكبت اللون وضربته في وجه النور ، فهو انوار وتفاكه اضواء استقرت كلها في بيتين من قصيدة رأس العين :

اری قطرة فوق الوسادة من دمي فمن اين جاءت ادمع الشعراء
اطرف بنان قد غمست بمهجتي كيما ترى بالعين لون وفائي

بين « اوراق مسافر » و « المفكرة » وشائج قربى ومخادنة ، ولئن اختلفت سبلهما وافترقت ، فالمودات في العمل الجمالي كما في الصداقة الحميمة تقوم بمقادر الايمان ومدى تغلغله في النفس ، فكما تشعبت دروبه في « دفتر الغزل » و « الديوان الجديد » واختلفت المقاييس والشرفات التي اطل منها على المتانق والمؤنق من الزخرف والوشي، ولم يتغير سوى الوقفة وبقيت الافاق على انفتاحها ، ذلك انه يغرف من نبع واحد .

وقوله في ترف الشباب :

احببت من اجلاك كل غمامة زرقاء يا ذات القميص الازرق.

يحار الاخذون بانتاج امين في انقباضه عن العطاء ، ثم على ابعد من التبذير تتوائب عنه عطاءات ما حلم بها مبذور النهب والسلب في بربرية العصور ولا في حضاريتها ، وانهم على تمام الحق لانهم لم يدخلوا الى محترفه فلا عجب ان لعبت بهم الحيرة وهل سواهامدثرة للجمال ، وهل سواها اسمال على جسد فتان .

امين نخله ، خوفا من وقوع القول عليه كما وقع على كل عبقري ، ساحة الكبار فيها الدر وفيها التافه ، عصب نفسه على الكبار ، وصدر ساحته على ساحاتهم ، فلا يتساقط فيها الا الدر فيعطي ويسرف بالعطاء ،ويحب ويسرف بالمحبة ، ويتجرد من الانا ويبقيها الشيء الكامل. لقد اعطى واجزل ، وما تنكر لفضل او فضيلة . فتاثره حتى الانصياع بالزهو العربي الذي منع عنه التذبذب والاستسلام ، فهو ابدا ثاقب جوهر ، متى وقع على نادر منه حلل له الصدارة ، وقد وقع على جوهرة نفسه ، وهو العليم الثاقب لدرها ، الذي لم يجد لها مماثلا ولا ثاقبا ، فقد بسط كفه بالعطاء على رفعة لا هجس فيها ولا رجفان فامره مع نفسه هذا التسامي الذي يظن به شموخا وما هو الا بقاء الانسب ، واقراره على مراتب يحظى بها اصحاب الامزجة المخولة ان تتردى بالبطانات المطيبة .

فوزي سابا

خماسيات شعرية

★

اجهر بحقك ان تكن ذا حجة
فاذا عييت فان صمتك اجدر
يحلو البناء بشكله ورياشه
لا بالاساس فانه لا يظهر
حق الغبي اعز منه باطل
يحميه رأي في الشدائد نير
والسيف في كف الكفيف يفله
عود يجرده غلام مبصر
ماذا يفيدك ان حقك ظاهر
وفضاك محدود وعقلك اعور

يا من يبذر في الملاهي ماله
فرحا ويقبض كفه عن جائع
احسب حسابك للزمان ، فربما
دارت حوادثه باشام طالع
يومان هذا الدهر ، يوم ضاحك
بالسعد ، مرتبط بيوم دامع
لا يخدعنك ان مالك واسع
كم هان قبلك ذو ثراء واسع
ولقد تمد غدا يمينك راجيا
احسان هذا الجائع المتواضع

بوانس ايريس زكي قنصل

صفحة منسية في تاريخ «الرابطة القلمية»

بقلم جورج ديمتري سليم

* * *

الرابطـة القلميـة

ARRABITAH

51 West 10th Street New York City

« حلقة ادبية تضم رهطا من ادباء المهجر تآلفت اذواقهم، وتكافلت جهودهم في التجديد . ولهم في النهضة الادبية الحديثة آثار حسنة ، ورسالة يؤدونها الى العالم العربي من القلب واللب .

مضى على تاسيس الرابطة نحـو خمس عشرة سنة ، ولا تزال دائبة في خدمة الادب .

هيأتها العاملة : عميد ـ جبران خليـل جبران ـ مستشار ـ مخائيل نعيمة ـ خـازن ـ وليم كاتسفليس عاملون في الرابطة ـ ايليا ابو ماضي ـ رشيد ايـوب ـ وديع باحوط ـ عبد المسيح حداد ـ ندرة حداد ـ نسيب عريضة » .

هذا ما نقراه في ص ٢٦٢ و ٢٦٣ من « التقويـم السوري الاميركي ودليل المهاجرين » الطبعة الاولى ، نيويورك ، ١٩٣٠ ، لصاحبيه نسيب عريضة وصبـري اندريـا .

الا ان هذه المعلومات التي نشرها عريضة عن الرابطة في هذا « التقويم » تختلف عن تلك التي نشرها ميخائيل نعيمة في سيرة حياته « سبعون » في حقيقتين : عـدد اعضاء الرابطة ، وعمرها . فاما عدد الاعضاء فهـو تسعة في « التقويم » ، وعشرة في « سبعون » ، واما عمـر الرابطة فكان « نحو خمس عشرة سنة » عام ١٩٣٠ ،حسب ما جاء في « التقويم » ، بينما كان نحو عشر سنوات ، في نفس العام ، في حساب نعيمة .

فمن اين اذن جاء التفاوت في عدد الاعضاء وكذلك في عدد السنين ، وكلا عريضة ونعيمة ، كما هو معروف ، مؤسسان من مؤسسي الرابطة القلمية ؟ هل مرجع هذا الاختلاف خطأ مطبعي ، ام سهو من احدهما ، او مـن كليهما ، اثناء ايراده الحقائق ؟ او ان لهذا الاختلاف سببا اخر غير السهو والخطأ ؟

اذا رجعنا الى قائمة اسماء الرابطيين السابقـة ، وجدنا ان اسم الياس عطا الله غير مدرج فيها ، ولم يكن هذا خطأ ولا سهوا . ففي عام ١٩٢٧ غادر عطا الله المهجر عائدا الى لبنان (١) ، فاصبح في نظر عريضة ، عند نشره « التقويم » عام ١٩٣٠ ، خارجا عن نطاق الرابطة ونشاطها، وبالتالي لا يجوز إعتباره « عاملا » فيها . وهذا بـلا شك ما يفسر لنا سبب التضارب الظاهري الذي لاحظناه في عدد اعضاء الرابطة عند عريضة ونعيمة .

اما التضارب في عمر الرابطة ، وهو الاهم ، فحله ليس بالسهولة التي حللنا بها مشكلة عدد الاعضاء الآنفة، بل يحتاج الى شيء من الاستقصاء . ولنرجع لهذا ، اولا، الى فصلين كتبهما نعيمة نفسه عن الرابطة القلمية : الاول في كتابه « جبران خليل جبران » (٢) ، والثاني في سيرة حياته « سبعون » ، (٣) ، ولنستخلص منهما ما يهمنـا ، كمقدمة للبحث عن عمر الرابطة وتاريخها ، وهو الآتي :

١ ـ ولدت الرابطة القلمية مساء ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٢٠ ، في مدينة نيويورك ، في بيت عبد المسيح حـداد صاحب جريدة « السائح » ، بعد ان رأى احدهم ان تكون لادباء المهجر رابطة ، تضم قواهم وتوحد مسعاهم فـي سبيل اللغة العربية وآدابها .

٢ ـ امين الريحاني لم يضمه الاعضاء الـى الرابطة لانه كان متغيبا عن نيويورك عند تأسيسها ، ولانه كان على خلاف مع جبران .

٣ ـ على اثر تنظيم الرابطة ، اخذت كتابات عمالها تظهر في اعداد « السائح » .

٤ ـ كل عضو في الرابطة كان يتبع اسمه بعبـارة « العامل في الرابطة القلمية » ، عند نشره عملا ادبيا له .

لم تكن « ولادة » الرابطة القلمية ، في الحقيقـة ، مساء ٢٠ نيسان (ابريل) ، ١٩٢٠ ، كما ذكر لنا نعيمة في فصليه ، ولكنها كانت في منتصف عام ١٩١٦ ، ومرتبطـة باحياء مجلة « الفنون » النيويوركية ، وعودتها الـى الظهور ، بعد ان توقفت بعدد كانون الاول (ديسمبـر) ١٩١٣ لمدة تسعة وعشرين شهرا بسبب ضائقة ماليـة .

ففي حزيران (يونيو) ١٩١٦ ، عندما اصدر نسيـب عريضة ، صاحب ومدير تحرير « الفنون » ، العدد الاول من سنة « الفنون » الثانية ، ضمنه ، ضمن ما ضمنـه : « رؤيا » لجبران ، والقسم الثالث من « الشعر والشعراء» لنعيمة ، وقصيدة « لعل غدي » لرشيد ايوب . ولاول مرة يلفت نظرنا في هذا العدد الجديد عبارة « عضـو في الرابطة القلمية » ملحقة باسم جبران وايـوب ، دون ان تلحق باسم نعيمة .

ثم ظهر العدد الثاني من المجلة في تموز (يوليو) ، وبه « الليل والمجنون » لجبران ، و « بـذور للزارعين » لامين الريحاني ، و « قصص يابانية » تعريب عبد المسيح حداد ، وقصيدة « ايماضة الخمود » لرشيد ايـوب ، وقصيدة « دموع الامل » لامين مشرق . ومرة ثانية نجد عبارة « عضو في الرابطة القلمية » تتبع اسم كل مـن الادباء الخمسة السابقين . ثم طلع عدد آب (اغسطس)،

وهو يحتوي ، ضمن ما يحتويه ، على «قصة ام» لوليم كاتسفليس ، و « اثمن ما نشرته العيون » لعبد المسيح حداد ، وعبارة « عضو في الرابطة القلمية » لاحقة باسم كل منهما . ثم جاء عدد ايلول (سبتمبر) بمقالة « من ميت حي الى احياء اموات » بقلم وليم كاتسفليس ، ولآخر مرة نرى عبارة « عضو في الرابطة القلمية » في «الفنون» ملحقة باسم واحد من ادباء المهجر الشمالي ، اذ اختفت بعدها هذه العبارة كلية ، وعلى غير انتظار ، من اعداد « الفنون » التالية .

ولا يجب ان يتبادر الى الفهم ، مما اثبتناه آنفا ، ان ذكر الرابطة القلمية جاء اول ما جاء في مجلة «الفنون» المبعوثة . فهذا لم يحدث . اذ ان ذكرها جاء اولا في جريدة « السائح » النيويوركية،وقبيل مجيئه في«الفنون» مباشرة . ففي الصفحة الثالثة من العدد ٣٦٢ بتاريخ ٤ـ٥ـ١٩١٦ من «السائح» ظهرت صورة الياس عطا الله وتحتها هذه العبارة : « يحرر هذا العدد الياس عطا الله عضو في الرابطة القلمية » . ويلفت نظرنا في هذه الصفحة ايضا ، اعلان عن « مجلة الفنون » ظهر على يمين صورة عطا الله تماما ، جاء فيه :

« عن قريب تصدر مجلة كانت تصدر منذ سنتين ، ثم قتلها الفقر ، ثم احياها غنى قليل بالنسبة الى غنى روكفلر ... وسيكون من ابطالها الريحاني ، وجبران ، ومخائيل نعيمة ، وبقية زعران القلم » .

ولا نعلم اذا كان نشر هذا الاعلان بجانب صورة عطا الله ، وما كتب تحتها ، مصادفة بحتة ، ام ان نسيب عريضة ـ الذي كان يعمل يومها محررا في « السائح » ـ تعمد نشر الاثنين جنبا الى جنب ليشير الى علاقة بين ظهور الرابطة وبين عودة مجلته « الفنون » .

اما عبارة « عضو في الرابطة القلمية » ، فقد توالى ظهورها في اعداد تالية من « السائح » ، ملحقة باسماء الرجال الاتية : وليم كاتسفليس ، في عدد ٨ ـ ٥ ، و ١١ ـ ٥ ، ندرة حداد ، في عدد ٢٢ ـ ٥ ، امين مشرق ، في عدد ٢٢ ـ ٥ ، و ٢٦ ـ ٦ ، و ٢٩ ـ ٦ ، امين الريحاني، في عدد ٢٥ ـ ٥ ، و ٧ ـ ٦ .

ولا ندري من هو « احد اعضاء الرابطة » الذي كتب مقالة « على قمة الجبل » في عدد ٢٩ ـ ٥ ، ولعله نسيب عريضة نفسه . والغريب في الامر ، ان آخر عدد من « السائح » يظهر فيه اسم الرابطة القلمية هو عدد ٢٩ ـ ٦ ، وهو العدد الذي نشر فيه مقالة « الرابطة القلمية» لامين مشرق .

ولا بد من التنبيه في هذا المجال ، ان مجموعة « السائح » التي اعتمدنا عليها في هذا البحث (٤) ينقصها ـ مع الاسف ـ العدد٣٦١ تاريخ ١ـ٥ـ١٩١٦ ، وهو العدد السابق لعدد الياس عطا الله ، كما ينقصها الاعداد : ٣٦٦ تاريخ ١٨ ـ ٥ ، و ٣٧٠ تاريخ ١ ـ ٦ ، و ٣٧١تاريخ ٥ ـ ٦ .

مما سبق ، نخرج بان رواية عريضة في تاريخ ولادة الرابطة القلمية رواية ثابتة موثقة ، اما رواية نعيمة ، كما تظهر لنا ، فتتناول ما يمكن ان نسميه ب « الولادة الثانية للرابطة القلمية » ، او مرحلة بعث هذه الرابطة واعادتها الى الوجود ، وهو ما لم يبينه نعيمة بوضوح في فصليه عن الرابطة . ونخرج ايضا بان امين الريحاني كان عضوا في الرابطة في ١٩١٦ ، وان لم يكنه في ١٩٢٠ ، على ما ذكره نعيمة ، وربما كان رئيسها ، اذا اعتبرنا ان صدارة اسمه في اعلان « الفنون » السابق لها هذا المعنى .

ثم نخرج كذلك بان امين مشرق كان عضوا في الرابطة عام ١٩١٦ ، وعضوا هاما ـ في راينا ، كما سنرى ـ لانه الوحيد من بين اعضاء الرابطة الذي ترك لنا شيئا عن الرابطة القلمية ، قبل تركه الولايات المتحدة متجها الى الاكوادور في الربع الاخير من نفس العام .

اما عن من اوجد فكرة الرابطة القلمية عام ١٩١٦ ، فمن الصعب علينا الان تحديده ، وان ظننا انه نسيب عريضة . فرسالته من نيويورك التي وصلت نعيمة في ٣ ـ ٢ ـ ١٩١٦ ـ وكان نعيمة يومها مقيما بعيدا بمدينة سياتل بولاية واشنطن ـ توحي بذلك . فقد جاء فيها : « ذكرت لك ما ذكرت لعلمي بحاجتنا الى نقابة ادبية تكون جامعة للادباء الحقيقيين » . (٥)

اما من احياء الرابطة عام ١٩٢٠ ، فمجهول لدينا ايضا . وجهلنا به مرجعه نعيمة نفسه الذي تجاهل ذكر اسم الرجل في محاضر جلسات الرابطة التأسيسية التي دونها هو بيده ، مكتفيا بالاشارة اليه بأنه « احدهم » .

والان ، وقبل ان ننقل الى القارىء مقالة امين مشرق في الرابطة لاهميتها ، يجدر بنا ان نطرح السؤال الاتي : اكان الرابطيون عام ١٩١٦ كلهم رجالا ، ام كان بينهم امرأة رابطية ؟

عندما خرج عدد ٦ ـ ٤ ـ ١٩١٦ من « السائح » طالع القراء فيه ، ص ٥ ، التالي : او علمت قبل الان ؟ ان عدد « السائح » الذي سيصدر في ٢٠ نيسان (ابريل) يحرره جبران خليل جبران ، وان العدد الذي يصدر في ٢٧ نيسان يحرره الياس عطا الله السمان ، وان العدد الذي يصدر في ١ ايار (مايو) يحرره وديع باحوط ،وان العدد الذي يصدر في ٤ ايار يحرره وليم كاتسفليس ، وان العدد الذي يصدر في ٧ ايار يحرره امين مشرق . وانه متى عاد من المكسيك امين الريحاني سيحرر عددا كاملا . وهكذا ستصبح جريدة « السائح » جريدة لاشهر كتبة العالم العربي الجديد .

وفعلا حرر جبران عدد ٢٠ ـ ٤ ، كما حرر باحوط عدد ٢٧ ـ ٤ وعطا الله عدد ٤ ـ ٥ ، وكاتسفليس عدد ١١ ـ ٥ ،ومشرق عدد ١٨ ـ ٥ المفقود . ولا ندري ان كانالريحاني حرر عدد ١ ـ ٦ او عدد ٥ ـ ٦ المفقودين. وثابت لنا من « السائح » ، او من « الفنون » ، كل على حدة او من كليها معا ، ان جبران كان رابطيا عام ١٩١٦ ،

وكذلك كان عطا الله ، وكاتسفليس ،ومشرق ،والريحاني.
اما الباحوط — وان اعوزنا الدليل المادي على رابطيته — فالدليل المعنوي يشير الى انه كان « عضوا في الرابطة القلمية » . أفلا نستنتج من هذا ان عبد المسيح حداد ، وهو رابطي ، لم يعط تحرير جريدته « السائح » الا لمن كان رابطيا ؟

صدرت « السائح » في ١٩ — ٦ — ١٩١٦ ،معلنة، ص ٤ ، انه : « ستحرر العدد القادم من جريدة « السائح » يد الكاتبة البارعة الانسة سليمة متراج ،التي عرف القراء كتاباتها المفيدة التي كانت كاتبتنا الاديبةتتحف بها هذه الجريدة . والانسة سليمة يجب ان يقال ان روحها الكاتبة لا قلمها . فهي تكتب بما تشعر ، فتظهر كتاباتها روحية ، متأتية من شعور حي ، وعوامل شريفة دافعة . فلهذا نلفت الانظار الى العدد القادم ، مثنين على ادب كاتبتنا التي نفتخر بها وبآدابها كل الثناء » .

وصدر العدد التالي في ٢٢ — ٦ ، وفيه ، ص ٣ : « اعلنا في العدد الماضي ان كاتبتنا الاديبة الانسة متراج ستتولى تحرير رئيسيات هذا العدد . ولهذا نثبت رسم اديبتنا مع تحريرها ، مثنين كل الثناء على همتها ونشاطها اللذين نفاخر بهما . اكثر الله من امثالها في هذه الامة المحتاجة الى اقلام اديبات مخلصات بارعات كقلم الانسة سليمة متراج » .

والسؤال الذي لم نجد له جوابا بعد هو : هل كانت الانسة سليمة متراج رابطية ام لم تكن ؟

اثار ظهور الرابطة القلمية في نيويورك عام ١٩١٦ ، على صفحات « السائح » و « الفنون » ، فضول بعض ابناء الضاد في المهجر الشمالي . فبدأوا يتساءلون ويسالون عن هذه الجمعية الجديدة التي فجأة ، بدون مقدمات وبغير اعلان ، اخذت تشق طريقها بين الجمعيات السورية الاخرى الموجودة . وكان طبيعيا ان يخاف منها بعض الذين ظنوها قامت لتزاحمهم . وكان طبيعيا ايضا ان لا يعبأ بها بعض ثان ، بينما بعض ثالث بدأ يفكر في الانضمام اليها .

ولم يكن من الصعب على الجالية العربية ، بعد اشهر ستة من ظهور الرابطة القلمية ، ان تحصي تسعة رجال ارتبطت اسماؤهم ارتباطا وثيقا باسم الرابطة ، وتحاول ان تعرف شيئا عنهم ، ان لم تكن قد عرفت عنهم شيئا بعد .

فكان هناك امين الريحاني البالغ الاربعين من عمره، مترجم « رباعيات ابي العلاء » (١٩٠٣) ، وناظم «الآس والمر » (١٩٠٥) ، ومؤلف « كتاب خالد » (١٩١١) ، وثلاثتها بالانكليزية ، وصاحب الريحانيات : مجموعة مقالات وخطب وشعر منثور (١٩١٠) باللغة العربية .

وكان هناك الفنان جبران خليل جبران ، في الرابعة والثلاثين ، وله كتاب « الموسيقى » (١٩٠٥) ، و «عرائس المروج» (١٩٠٦) و « الارواح المتمردة » (١٩٠٨) ، و « الاجنحة المتكسرة » (١٩١٢) ، و « دمعةوابتسامة» (١٩١٤) .

وكا هناك الصحافي عبد المسيح حداد ، شاب في السادسة والعشرين ، مؤسس وصاحب ومدير ومحرر جريدة « السائح » منذ ١٩١٢ ، وبجانبه اخوه ندرة الشاعر ، الذي يكبره بتسع سنوات .

ثم كان هناك وليم كاتسفليس مؤلف « رواية شقاء التاج » (١٩١٢) ، تاجر في السابعة والثلاثين ، «سيال في العربية والافرنسية والانكليزية » ، كان اخر ما كتبه، قبل ظهوره في الرابطة ، ثلاث مقالات بعنوان «طائفة الادباء » نشرتها له « السائح » .

وهناك نسيب عريضة الشاعر ، في التاسعة والعشرين ، موجد قبل ثلاث سنوات مجلة « الفنون » الشهرية ، عرفه قراء « السائح » « تولستوي الافكار ، غوركي القلم » ، وهو الذي عاد فاصدر في حزيران (يونيو) مجلته من جديد ، بعد ان ضمنها اعمالا لبعض اعضاء الرابطة القلمية .

وكان هناك رشيد ايوب ، في الرابعة والاربعين ، اكبر اعضاء الرابطة سنا (؟) ، تنشر له « السائح »بانتظام ركن « هي الدنيا » ، وهو الذي اخذ يعلن اخيرا عن عزمه على طبع ما نظمه من الشعر في ديوان ، سماه « الايوبيات » .

وهناك الياس عطا الله البقال (لم نعثر على سنة ميلاده لنحدد عمره بالضبط) — ثامن الرجال في ترتيبنا هنا ، لا في المقدرة الادبية — « متقن العربية » ، وبارع بالانكليزية ، وملم بالفرنساوية » ، ويكتب في جريدة « مرآة الغرب » النيويوركية .

ثم كان هناك امين مشرق ، اصغر اعضاء الرابطة سنا — على ما نظن — ، شاعر وكاتب في حوالي الثانية والعشرين من العمر .

كان لازما اذن ، وقد اثار هؤلاء الرابطيون فضول بعض ابناء الجالية ، ان يقوموا بنقع هذا الفضول . فقام اصغرهم سنا بهذه المهمة ، وعلى خير وجه ، وكتب المقالة التالية التي نشرتها « السائح » في عدد ٢٩ — ٦ .

الرابطة القلمية : ما هي « الرابطة القلمية » ؟ وماهي غايتها ؟ وكم عمرها ؟ ومن هم اعضاؤها ؟ ومن هو رئيسها؟ ولماذا هي مختبئة الى الان ؟ وما هي سياستها ؟ وما ، ومن ، ولماذا ، واين ،والى اين ... ؟؟

سؤالات تنصب كل يوم ، بل كل ساعة ، على رؤوس اعضاء « الرابطة القلمية » ، كأنها زخات برد ، وزن الحبة نصف اوقية . ولحسن الحظ ، انهم ليسوامن زجاج والا لتحطموا قبل ان يتكلموا .

اس اس ! تعالوا فاخبركم ! هس! لا تضجوا ، ولا تتحركوا ! اسمعوا ! « الرابطة القـ .. قـ.. قلمية» هي

ـ غول جائع ، له عينان تلمعان في الظلام ، ولـه مخالب تقطع كالسكاكين ، وله في ظهره الف عين وعين ، وبطنـه يسع الف رجل ورجل ، وتصغر عنه حكايات « الف ليلـة وليلة » .

أه اه اه اه ! ما بالكم هربتم ! تعالوا ولا تخافــوا ! يا حيف عليكم . اتصدقون المـزاح ؟

ولكن ماذا اقول لكم ؟ جمعية . كلا ، فهي ليست بجمعية . ناد . كلا ، فهي ليست ناديا سوريا صينيــا زنجيا . هي ، يا اعزائي ـ من بعد امركم ـ رابطة قلمية . هذا كل شيء . هذا كل شيء . ليطمئن بال الجمعيـات العزيزة ، فليس من مزاحم جديد . وليهدأ روع اربـاب السياسة ، فليس من مسابق على ادارة دفتها ، ولا منازع على صولجان سلطتها المؤيدة . ولو كان لي شـــوارب لمسكتها قسما بصدق هذا الكلام .

وبما انني عضو في « الرابطة » ، فقد خولتني الحق بتبريد غليل المتسائلين ، واظهار شيء عن حقيقتها المجهولة على صفحات الجرائد ـ ليس فقط اكراما لسواد عيـون القوم المتسائلين ، ولكن ـ والحياة تدور علـى محبـة الذات ـ اتقاء لسلامة اعضائها من برد السؤالات المتدفق كل يوم وساعة على رؤوسهم . وقبل ان ابـــدا بتعريف موضوعي ، ارجو ان يسمح لي القراء باستهلال كلامـــي ببيتين من الشعر ـ كما هي عادة كتبتنا وخطبتنا ـ اترنم فيهما بمدحهم ، الواجب على كل شفة ولسان . وهاهما :

يـا قوم الكرام ونسـل العـرب انتم اهل الجاه والفخر في العالمون
لازلتم انتم وسوريا على هام السحب يـا افـاضل الـى ابـد الابدون

لماذا تضحكون ؟ لم هذه القهقهة والاستلقاء علـــى ظهوركم ، كأنني « تشارلي تشابلن » ؟؟ انا قتلت وقتي ، وعصرت دماغي لنظم بيتين في مدحكم ، ثم كـان جزائي ان احتقرتموني وضحكتم مني ! الله الله على الحكمـــة الضائعة بين الجهال !

يا قوم ! لا تظنوا انني خرجت عن موضوعي ، فـانا عارف ماذا اتكلم . قد بدأت باخباركم عن «الرابطة القلمية» ووصلت الى بيتي الشعر . ولكنني لا ازال في الطـريق القويمة المقصودة . نعم ، يوجد نسبة تامة بين « الرابطة القلمية » وبين هذين البيتين ـ ولكن لسوء الحظ ـ نسبة عدائية . نسبة كنسبة سكين الجراح الى اللحم الفاسد ، او كفأس البستاني الى الغصون اليابسة . افهمتم الان ما هي « الرابطة القلمية » وغايتها ؟ لا اشك في ذلك .

اللغة العربية ، يا اخوتي ، ليست الها ، ولا شيطانا ، ولا جنا . هي لغة كباقي اللغات ،تنحط الى ادنى الدركات، وتسمو الى اعلى الدرجات ، وتموت بموت شعبها ،وتحيا بحيـاة المتكلمين بها .

وهكذا مرت القرون ، وانحلت اللغة العربية بانحلال امتها الى ان كادت تصير وهما . واليوم ، وقد نشبت هذه الحرب العامة بين الامم لتعلمها كيف يجب ان تحيا كأمم ، ولتنبه الشعوب الخاملة الى ضرورة الروح الشعبية فـي حياة هذا العصر الجديد ، تحركت البقية الباقية مـــن امتنا المندثرة ، ونظرت الى « البلجيك » و « الســرب » و الارمن نظرة ذات الف معنى . نظرت الى الحياة بعيـن غير التي تعودت النظر بها ، وتطلعت الى خلف ، الى تلك السجون المشبكة بالزرد والحديد ، والقبور المملوءة عظاما وجماجم ، وحدقت بتلك الانفاق المظلمة المعفنة المحشــوة بالحشرات والروائح الكريهة القاتلة ، ثم التفتت الـــى حاضرها وموقفها الحرج ، فرات امامها طريقين فتحهمـا تقلب الزمان العجيب ـ القبر من هنا والحرية من هناك .

يا اخوتي ! امامنا اليوم طريقان : اما الموت الـذي لا حياة بعده ، واما الحياة باغتنام الفرصة السانحـــة . الزمان عادل ، يقدم لكل امة فرصة بدورها ، تؤسـس اثناءها حياة جديدة لنفسها . ولكن بعض الامم تحـول وجهها عن تلك التقدمة ، وتعود فتندم حين لا ينفع الندم ، وتتذمر على الزمان وهو عادل . واليوم يوم دورنا . امـا ان تتجدد حياتنا الى ما شاء الله ، واما ان نموت الـــى الابد ، وبعدل نموت .

و « الرابطة القلمية » ، يا اخوتي ، مؤلفة من بضعة عشر عضوا ، نظروا الى الفرصة السانحة ، وتطلعوا نحو المستقبل القريب ، وشرعوا يستعدون بتأن لم ينظروا الى طريق القبر ، ولكنهم نظروا الى طريق الحياة المأمولـة ، وشرعوا بتهيئة اللغة العربية لطورها الجديد الاتي . قـد تركوا السياسة العامة لسواهم ـ كما ذكرت ـ وحصروا غاية رابطتهم في اللغة فقط ، كما يستفاد من نسبتها الى القلم ، فـ « الرابطة القلمية » هي رابطة تربط ادباء اللغة بعضهم الى بعض ، وتجعلهم قلبا واحدا ، ورايا واحـدا ، وغايتها المحافظة على الجرثومة الباقية من آداب اللغـة ، وتغذيتها بالجديد المفيد ، وتنقيتها من العقيم البليـد ، وتعزيز مركز الادباء من كل مذهب وطبقية ، واحداث صلة حقيقية بين اللغة العربية وبين الشعب العربي .

ما قولكم ببيتي الشعر السابقين ؟ وهل تصدقون ان ثلاثة ارباع شعرائنا من هذه الطبقة !؟ كل اسبوع تـرد على ادارات الجرائد قصائد طويلة على هذا النمط . وان

---

١ ـ جورج صيدح ، « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية » ، ط ٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ ، ص ٣٦٩ .

(٢) ـ بيروت ، مطبعة لسان الحال ، ١٩٢٤ ، ص ١٦٩ ـ ١٧٥ . او م ٣ من « المجموعة الكاملة » ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٠ ، ص ١٨٤ ـ ١٩٠ .

(٣) ـ بيروت ، ط دار صادر ودار بيروت ، ١٩٦٠ ، « المرحلـة الثانية : ١٩١١ ـ ١٩٣٢ » ، ص ١٧٠ ـ ١٨٢ . او م ١ من «المجموعة الكاملـة » ، ص ٤٤٥ ـ ٤٥٧ .

(٤) مجموعة موجودة بمكتبة الكونجرس على افلام ، ومصورة اصلا في جامعة هارفارد .

(٥) ـ « سبعون » ط ١٩٦٠ ، ص ٥٦ . او م ١ من « المجموعة الكاملة » ، ص ٣٣٦ .

ملتقى النهرين

نهران يلتقيان في حــــب
ويدغدغـان على هــوى قلبي
الطـود حولهما ضفــــائره
خضراء تأسر كل ذي لـــب
مد النسيـم يدا لهامتــــه
واعلهــا بالبــارد الرطـب
والشمس طالعـة وغاربـة
ألقـت بها الافياء في الجـب
والعندليب بلحنـه ثمــل
ينبي له سرا .. وما ينبـي
لكانني و(الخصب) ملء يدي
صب يمد يـدا الى صـــب
يتراشفـان هـوى على مهـل
ويوسعـان مسـاحة الدرب
يـا ملتقـى النهريـن ان فمي
انشودة ((للسلم)) ((للحرب))
حرب العيون وهـن مشرعـة
تصطـاد كـل مكابـر صعب
ما ان تشـاهدهـا ضحيتهـا
حتى تصـاب بصرعـة الحب

سعد البواردي

لم تصدقوا ، فاذهبوا الى ادارة « السائح » ، وهناك في سلة الاوراق المهملة تجدون من هذه الدرر اشكالا والوانا. ولماذا لا ؟ جريدة « السائح » جريدة الادباء — وحضـرات اصحاب القصائد « ادباء » ايضا .

ربما نسـامح الصحافيين لمنحهم الالقاب الفخيمة لمـن لا يستحقونها اكراما لايراد الاعلانات ، وربما نسامحهــم ايضا لنشرهم حفلات الولادة والعمـادة والاستقبـال والتوديع احتراما لبدلات الاشتراك — هذه امور يتصـل شرحهـا بالمبـادىء اكثر من اللغـة — ولكننـــا لا نسامحهم ابـدا على تشجيعهــم اولئـك « الشعراء » العديمي الشعور لكي يصفعوا اللغة ، من وقت الى اخر ، بثرثراتهم المقيأة ، ويفقأوا حصرما فــي عيون الشعـر والشعراء . ألم يكن اشرف لهؤلاء الحمقى ، واكثر فائدة لهم وللشعب ، لو قضوا الوقت الذي تتلوه في الثرثرة في بيع الشيت والقطن ، او في تصليح الاحذية القديمة ، او في التفكير بطرق مختلفة تهديهم الى تنظيم الريالات قبـل تنظيم الكلمات ؟

« الرابطة القلمية » ستضع لهؤلاء القوم المغروريـن حدا ، وتسد افواههم سدا .و « الرابطة القلمية » ستنزع عن اعناقهم عقود المرجان واللؤلؤ ، وتربطها الى الاعنـاق التـي تستحقهـا ، وستمحو مــن مخيلاتهـم المصابة بال « ملنخوليا » جملة : « الكاتـب المتفنن » ، والشاعر الخنذيذ ، والخطيب المفوه ، والبليغ ،والالمعي ،واللاذعي ، والفطحل ، والقصيدة العصماء الرنانة ، والمقالة الخلابـة الفتانة » ، الى اخر ما هناك من التطبيل والتزمير والضجة التي تشبه طنين الاجراس المتدلية من رقاب البغـــال والحمير .

نعم ، « الرابطة القلمية » ستغربل هذه الفئةالمتجهمة على الادب ، وتلقيها الى حيث القت رحلها ام قشعـم ، وستنتخب من حقل هــذا الشعب النباتات والشجيرات المستعدة للنمو والصالحة للحياة ، وتغذيها بضمها اليها ، فتطعمها طعامها اللذيذ ، وتسقيها ماءها الصافي . وبهذه الطريقة تؤلف للغة العربية جيشا قويا مخلصا يدفع عنها غارات اللغات الاجنبية ، وهجمات « شعرائنا وكتابنـا المجيدين » ، وتشيد لحملة الاقلام الادباء جامعة تجمعهم تحت جناحها ، وتجعل حقوقهم المهضومة حقوقا مقدسـة لا تمسها ايدي الغرباء المتهجمين . وسيأتي يوم — وهـو ليس ببعيد باذن الله — يرى فيه العالم العربي نتيجة باهرة لهذا السير البطيء الصامت ، وما على الله امر عسير .

وقبل ان اختم كلامي ، اريد ان ابدي ملاحظة مفيدة للكاتب والقارىء معا . وهي انه اتى في مواد قـانـون رابطتنا ما يلي : « لا تقبل الرابطة القلمية استدعاء مــن طالب دخول ، وانما تدخل في عضويتها من تستحسنـهم بطلب منها لا منهم » . ونرجو ان لا يستاء احد من قانوننا هذا ،الذي و لو دل على شيء من التكبر ، فانه يوفر علينا وعلى الغير عناء كثيرا . نحن نعتقد انه يوجد بين الشعب من هم اقدر منا وارفع منزلة في عالم الادب ، وسيكون لنا الفخر بدعوتهم في المستقبل لمشاركتنا . ومتى علم القارىء ان قانوننا ليس لهؤلاء وانما هو لاجل الفئةالمتطفلة على الادب ، لا شك انه يعذر على هذا « التكبر » .

هذه هي « الرابطة القلمية » والسلام » .

امين مشرق « عضو في الرابطة القلمية »

ولا نخال ان الامين قد نقع فضول ابناء الجاليـة كثيرا بمقالته التاريخية هذه ، بل نظن انه استثاره اكثر . اما نحن ، فالذي يثير فضولنا هو عندما نفتح جـريـدة « مرآة الغرب » لنقرأ في الصفحة الاولى من عدد ٧ — ٩ — ١٩١٦ مقالة « لسان النكبة ، للارشيدياكون عمانوئيل ابو حطب ، عضو في الرابطة القلمية » .

اذن ، لم تكن الرابطة القلمية قاصرة على علمانيين، فقد كان بين رجالها رجال دين ، وهذا ايضا ما لم نكـن نعرفــه .

واشنطن — جورج ديمتري سليم

وقف شاب ـ نحيل ، له وجه رفيع يحمل الوداعة ـ امام مقهى ..وكان يحمل مجموعة من اللوحات تحت ابطه ..

وكان الجو خريفا .. ونسمات الليل تصافح الوجوه برقة .. بينما اوراق الشجر الجافة ـ التي استحالت الوانها الى ذهبية ، وصفراء بنية ـ تتساقط ، وهي توسوس الاغصان مودعة ، ثم تأخذ فتمور في عرض الطريق ... في حين اخذ الشاب يطرف بعينيه ، وهو يرنو الى رواد المقهى الذين راح يلهو البعض منهم بلعب الورق ، بينما يقطع البعض الاخر وقته بالحديث ، واحتساء ما لذ من مشروبات .كما اخذت فئة اخرى في تزجية الفراغ بتدخين النارجيلة ، واشباع النظر ـ من حين لآخر ـ من النساء والفتيات اللائي يخطرن امام المقهى .

بينما بدأ الشاب في عرض لوحاته، مخاطبا اياهن باعتزاز :

ـ ان فراقكن ليحز في نفسي .. لكن لا حيلة بيدي ..!

وتناول واحدة ، ثم جعل يديرها امام الرواد ، والضوء يغمرها بفنية، ليتسنى للمشاهدين رؤيتها ، والاستمتاع بروعة تكوينها .. حيث ان كل لوحة تمثل قطعة حية تجسدت في اطار بديع التكوين ، كما لو كان قد اخذ بنصيحة الفنان الخالد ليوناردو دافنشي .. حين قال : عليك ايها الرسام ان تعمل على الا يكون اهتمامك بما يقوله خصومك عن اعمالك اقل من اهتمامك بما يقوله اصدقاؤك .. وذلك لان الحقد اعظم اثرا ، واكثر قوة من الحب ..

وطفق الفنان يدور وئيدا ، وهو لا يزال يعيش مع مجموعته :

ـ ... احس المؤانسة .. واسمو بروحي ، وانا في صومعتي معكن . ثم لا البث ان اعود الى محرابي فالفاه موحشا ، فأتوجس خيفة من وحدتي السقيمة .. واحس الفرا والاختناق ، كما لو ان جسدي قد انتزعت منه روحي .. آه .. لشد ما اتمنى ان تعشن معي .. ويكبر محرابي .. ويصير مرسما كبيرا ، واسع الردهات ، مليئا باللوحات ، بدل ان يكون قفرا ، خاليا كجسد بلا روح ..

وضغط حافة اللوحة ، ثم استطرد قائلا ، بعد ما ازدرد ريقه المر :

ـ سأقطع على نفسي ان اجعل منه مدرسة لمن يتعشقون الفن ، ولتمتلىء جوانبه بمئات اللوحات .. ولتفتح ابوابه على مصاريعها .. لا .. فكلكن عزيزات لدي ، بل كل واحدة منكن تمثل قطعة من ذاتي ، قد انسكب فيها قبس من روحي ..



بقلم محمد حسين عبد المجيد

وما لبث ان ارتد الى عالم ليس عالمه .. واحس بنبضات قلبه الذي يحمله بين يديه .. فاغتصب ابتسامة ، وعيناه مفعمتان بالامل والدموع .. غير ان ابتسامته المهيضة ما لبثت ان تلاشت من على شفتيه الذابلتين .. اذ يبدو ـ ولا ريب ـ انه يعاني آلاما تجوس خلال جوفه الذي الفته المسغبة ..

وفيما هو كذلك اذ باحد الرواد يتطلع الى اللوحة المعروضة وهو يجذب انفاسا نتنة من نرجيلة بجانبه ... ثم عاد الى ما كان عليه ..ولعله لمح امراة تخطر فحاد عن اللوحة



المعروضة الى ذلك الجسد الذي اثار حيوانيته .. في حين التفت اخر معلقا :

ـ هي في حد ذاتها جميلة .. ولكن ينقصها الاطار .. ومضى لتسوية الجمرة التي تخبو على حجر النارجيلة .. ومال ثالث على من يشاركه جلسته ، وقال :

ـ لا بأس بها .. هه ؟ تلك الفتاة ذات الثوب الوردي المصطحبة ذلك الفتى الخليع انها انثى بحق ..

ـ ظننتك تتحدث عن اللوحة ..

ـ اي لوحة ايها الابله ..؟ وهل هناك اعظم من هذه اللوحة الحية التي تتجسد فيها الرغبة والجمال .. لشد ما اتوق الى طمس ذلك الجانب الذي فيه يتأبط ذراعها ذلك الرقيع ..

ـ سأعيد محاولتي من جديد ..

اسرها الفنان في نفسه .. ثم ردد عبارة رومان رولان : لا شيء يسير امام من لا يسير..

وشرع يجوس خلال المقاعد ، وبين الجلوس ، والعبرات تخضل عينيه ولحيته ... فيظن البلهاء انها من الادمان ... ذلك وظل ابتسامة باهتة يرف على شفتيه .. ثم دنا من ثلة كانت تلعب الورق .. وجلهم من الرجال والشبان المترفين .. وقف مليا ، لعله يجد في اترابه حتى ولو مشجعا ، مع انه عزى نفسه بقول فاليري : ان اصعب الاشياء ليس العثور على الاشياء ، ولكن .. استيعاب ما نجده ..

وهنالك تناول احد من كانوا ملتفين حول المائدة مجموعته ، وشرع يقلب فيها ، وصاحبها يردد في حسرة :

ـ ليتني ما اتيت .. اني لاحس من اعماقي بمرارة استخفافكم ... ويلي من الاتراب .. ويلي من بني جنسي اذا لم اجد شفيعا لتلك الروح المعذبة ، ولا جريرة لها في ملاقاة هذا الامتهان الا لانها تؤمن

بالفن .. ان شئت او لم تشأ فلا غير الصبر والجلد ايها القبس الضئيل من روحي ..

وانتفض وهو يلتقط اللوحات التي دفع بها اليه الشاب الذي كان يتفحصها ، مبديا رأيه بقوله :

ـ لوحاتك جميلة ، بل رائعة ، اني لاتكلم عن خبرة ، وذوق فني .. لقد كنت مثلك ولكني اسرعت بالاقلاع عن هذه المهنة .. معذرة .. اني انصحك بعدم تحمل هذه التبعة اذ لا ريب انك اخذت في الطواف بعد عناء لا طائل من ورائه .. لم لا تحاول عرض لوحاتك على ...

ولم يكمل جملته .. اذ صاح فيه احد ندمائه قائلا :

ـ العب ايها الاحمق .. اتوهمنا بانك فنان .. هيا يا صاحب الثراء العريض .. وصفع المائدة بورقته وهو يصيح في نشوة الرابح :

ـ هات .. انا اكسب ..

فالتفت الشاب الثري ، وبصق في اثر الفنان ، الذي مضى بلوحاته ثم صاح غاضبا :

ـ تبا لك من فنان لقد اضعتني .. ايها الضائع ..

وكان الفنان في ذلك الحين ـ قد دلف الى الداخل ، ولسان حاله يقول :

ـ يا لحكمة جوته .. حين قال : ان الفكر سهل .. والعمل عسير .. وتنفيذ ما يفكر فيه الانسان هو اصعب شيء في العالم .

واردف قائلا :

ـ يدعوني الى التخلي عن تحمل تبعة الفن .. ويأتي ذلك من احد دعاة الفن .. الفن مخنوق .. الفن كالبدر الوليد ، رسالته نشر الضوء ، ليبدد ظلام النفس .. فدعوه ينمو ، ليسطع نوره ، ويبلغ الذرى ... ولا تجعلوا غمام الماديات والشهوات تخنقه .. انى لي ان اتخلى عنه وانا صاعد اليه على سلم من أوتار ذاتي ..؟

وفي المقهى المكتظ بالارستقراط ـ الذين راح يلعب البعض منهم البليارد ـ اصطدمت عيناه بلوحة سريالية فهتف قائلا :

ـ يا الهي ..

وولى هاربا من المقهى وهو يقول :

ـ اغلب الظن ان صاحب المقهى اشترى هذه اللوحة السريالية ، وخص بها المقهى هذا ليرضي غرور تلك الطبقة ..

وفي ركن قصي يخيم عليه الهدوء .. كان ثمة شاب يجلس وحيدا ،



محمد حسين عبد المجيد

★

وامامه قصاصات من الورق كان منكبا في الكتابة عليها .. الا انه نحاها جانبا ، عندما لمح الفنان يعرض لوحاته .. ومسح منظاره ، وجعل يتأمل اللوحات ويتابع عرضها. وقد استدارت عيناه من فرط الاعجاب ، حتى انه هتف ، مخاطبا نفسه :

ـ لشد ما تدفعني الرغبة الى اقتناء حتى ولو لوحة واحدة ... لكن ما باليد حيلة .. لا انظري .. واستمتعي .. وعبري .. وحلقي ما شاء لك التحليق .. اما تطلبين .. فهذا ما لا ترضينه .. اجل لسوف اهم لاعبر له عن مدى اعجابي الشديد .. وحبي وتقديري للفن .

وشد على يد الفنان بيد مرتعشة ، ثم قال :

ـ انك لرائع .. استطعت مشاهدتها من بعيد ..

وتناول اللوحات .. وراح يتأملها .. والنفس تهفو اليها ، الى ان جعل يهتف قائلا :

ـ يا لها من لوحات رائعة ، خطتها يد نحيلة ، جديرة بالاحترام والتقدير .. كل التقدير فتى رائع يهيم بروحه فيبدع ، ويبتكر ... انه لجوهرة .. جوهرة في حاجة الى من يقتنيها ويصونها من الضياع .. الضياع .

وطفق يردد الكلمة الاخيرة ، وهو ذاهل ، الى ان احتبست انفاسه ..

وفيما هو كذلك اذ بالفنان ينسحب حاملا لوحاته ، وقد ترك احداها بين يدي صاحب القصاصات الذي تمتم قائلا :

ـ لقد دفع بها الي ومضى .. بينما انا عاجز عن التعبير عن ..

وارتعشت شفتاه ، ثم استطرد :

ـ يا لروحه الطاهرة .. لعله استشف ما كان يجول بخاطري .. المجرد اني ابديت اعجابي واحترامي للفن ، ولانه وجد من يشاركه وجدانه يدفع بها الي ، وبلا ثمن ..؟ رغم انه يبيعها ليعيش من ثمنها الزهيد .. آه .. لك الله يا صديقي الفنان ..ولكن .. لا ..

واندفع خارجا ليلحق بالفنان ، ليرد له اللوحة .. على ان الاخير كان قد تلاشى في الزحام .. فعاد الشاب الى قصاصاته لاهثا ، مرددا في اسى :

ـ كلانا لنا الله .. كلانا في حاجة الى رعايته .. اننا نحبو ، ونتعثر .. الا من منقذ يأخذ بيدينا .. ؟

القاهرة محمد حسين عبد المجيد

القـــــدس

●

قصيدة من نظم شاعر انكليزي مجهول في مطلع القرن السابع عشر يصور فيها حنينه للديار المقدسة

●

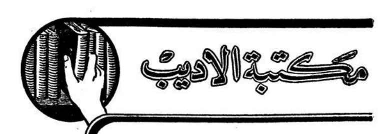
ترجمة : داود الزبيدي

لندن

●

اهدي هذه الترجمة : الى كل عات مغتصب رعديد لا يتوانى لتحقيق اطماعه عن هدر كرامة الحق وحرمة العدالة عله يدرك ما للاجئين الفلسطينيين العزل الضاربين في الارض تظللهم سماء مكفهرة ، من قلوب تفيض بلوعة الغربة وحرقة الشوق وتستعر بلهيب الحنين للعودة .

ايتها القدس ، وطني السعيد
متى ساعود اليك
متى تزول آلامي
وافراحك متى ارى
يا مرفأ القديسين السعيد
ايتها التربة الحبيبة الرضية
فيك لا تجد الكآبة لها موضعا
لا اسى ، لا هم ، لا عناء
هناك لا موطن للجشع والربح الحرام
لا سلطان للحسد والغيرة
هناك لا موطىء للجوع ، للحر او البرد
بل سعادة تغمر كل سبيل
جدرانك بنيت من الاحجار الكريمة
وحصونك ساحة من الماس
وابوابك من لؤلؤ شرقي اصيل
نادر يفوق كل غنى
ابراجك والقباب
تلمع بالياقوت الاحمر
وحتى شوارعك معبدة بذهب
يفوق كل صفاء ونقاوة
آه ايتها القدس ، وطني الحبيب
لله .. لو كنت امرح في احضانك
لله .. لو آن لمعاناتي ان تنتهي
فارى مسراتك
جنانك ومتنزهاتك الحبيبة
ابدا في خضرة ...
تكللها ازهار فاغمة العطر
لا مثيل لها في اي مكان
وفي منعطفات الدروب الهادئة
يتدفق فيضان الحياة بنغم فضي
وعلى ضفتيه من كل جانب
تترعرع غابات الحياة
هناك اشجار تثمر مدى الحياة
يظللها ربيع ازلي دائم
هناك يتربع الملائكة عرش الخلود
يترنمون بغناء ابدي
سيدتنا العذراء ترتل « التسبيحة »
بلحن يفوق الحلاوة
وكل العذارى جلوس عند قدميها
يشاركنها الانشاد
ايتها القدس ، وطني السعيد
متى ساعود اليك ...
لله ... لو آن لمعاناتي ان تنتهي
فارى مسراتك



النقد الادبي في القرن الثامن الهجري

تاليف محمد علي سلطاني ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

اثار اهتمامي كتاب « النقد الادبي في القرن الثامن الهجري »فاعددت نفسي لقراءته منذ كان قيد الطبع ، يدفعني الى ذلك سببان : الاول : استجلاء حالة الادب والنقد في هذه الفترة من التاريخ العربي التي تكاد تكون غامضة . والثاني : كون الكتاب من تاليف الاستاذ محمد علي سلطاني ، فقد توقعت ان يكون مضمونه بعيدا عن الغلو خاضعا للمنطقية ، ملتزما الحقائق ما امكن . والحقيقة انني كنت اجهل جهلا يكاد يكون كاملا حالة النقد في القرن الثامن حتى تسنى لي استلام هذا الكتاب ، فاخذته وقراته بامعان من مقدمته العامة الى آخر سطر فيه .

وضع المؤلف بين يدي كتابه مقدمة شرح فيها الاوضاع العامة لمصر والشام في القرنين السابع والثامن الهجريين ثم ربط بين هذه الاوضاع وبين حالة النقد والادب ، وانتقل بعد ذلك الى صلاح الدين الصفدي الذي عاش بين القرنين السابع والثامن فعرض علينا حياته وعرفنا بنشاطه الادبي ومؤلفاته .. واخلاقه والمناصب التي تقلب فيها.. وبعد ان اصبحت لدينا صورة كافية عن شخصية الرجل الادبية اخذ بيدنا الى موضوعه فحدثنا عن تلك الخصومة الادبية التي اثارها كتاب « المثل السائر » لابن الاثير ، موضحا الاسباب الكثيرة التي دعت النقاد الى الطعن على المثل السائر ومنهم ابن ابي الحديد ، المعتزلي المتكلم ، الذي الف كتابا سماه «الفلك الدائر على المثل السائر» ومن العنوان ندرك هدف ابن ابي الحديد في كتابه ، فهو يفند اخطاء ابن الاثير ويدحض حججه ويكبح جماح غروره .. لقد تطاول ابن الاثير على الفضلاء وابدى اعجابه بنفسه ، بالفاظ صريحة مما اغاظ ابن ابي الحديد فاقدم على اعلان خصومته ، هذه الخصومة التي زاد في اشتعال نارها الخلاف الاقليمي بين الرجلين .

وجاء الصلاح الصفدي فوضع كتابه « نصرة الثائر على المثل السائر » يناصر فيه ابن ابي الحديد مناصرة فنية موضوعية ، قرأ المثل السائر قراءة الناقد المتذوق فاراد ان يبعد الزبد ويستبقي ما يمكث في الارض لينفع الناس ومن كانت هذه غايته لا يخشى عليه ان ينزلق مع هواه وينساق وراء عواطفه ، غاية الصفدي فنية اجتماعية ونظرته الى ابن الاثير نظرة موضوعية ومثل هذه الشخصية الناقدة تسترعي اهتمام الاستاذ سلطاني فيسعى الى ابراز جوانبها وايضاح ملامحها ليس من خلال كتاب نصرة الثائر فقط ، فقد رأى ان من دواعي استكمال الصورة ان يضيف الى هذا الكتاب كتابين آخريين للصفدي هما : « الغيث المسجم » و «تشنيف السمع بانسكاب الدمع» وهكذا يضعنا وجها لوجه امام الصفدي الناقد فيعرفنا على مكانته النقدية ويحدثنا عن مكونات الناقد فيه وعن منهجه في النقد ، فاذا بهذا المنهج لا يختلف عما تواضع عليه النقاد في العصر الحاضر .

وحين يقودنا الى آراء الصفدي النقدية تتضح لنا اهمية الايحاء في الشعر عنده من خلال اهتمامه باللفظة المفردة وادراكه القيمة التعبيرية للحرف واحساسه بالجو الشعري.

اما رد الصفدي على ابن الاثير فانه يبدو لنا في استعراض آراء الصفدي التي تمثل لنا في احيان كثيرة مناقشة حية بين الصفدي وابن الاثير او بين الصفدي وغيره من النقاد ، وفي الحديث عن الصنعة في ذلك العصر ، هذه الصنعة التي يقف امامها الاستاذ سلطاني وقفة طويلة يبين الوانها وراي الصفدي في تلك الالوان . واذا كان الصفدي ـ على الرغم من اعتداله يجاري ذوق معاصريه في كثير من جوانب الصنعة فان موقفه من الشعر ومقدماته يبدو اكثر صحة وانضج موضوعية .

ومن الحديث عن مقومات الشعر ننتقل الى مقاييس النقد عند الصفدي ، وبعدها نصل الى صورة العصر الادبية فنتعرف على مفهوم الادب والمثل الادبية العليا ، ومن ثم ننفذ الى ثقافة العصر واثرها في الانتاج الادبي ثم العملية الشعرية والخطوات التي كان يلتزمها الشاعر في هذه العملية ، واذا كان الاهتمام منصبا على الشكل لا على المضمون فان النقد تبعا لذلك سيكون نقدا شكليا وستستولي عليه روح الخصومة والتعصب . هذه هي الصفة الغالبة على النقد والتي لا تسايرها دائما خطوات الصفدي فيظل نسيج وحده في ذوقه وموضوعيته وموهبته .

ومما يمكن ان يكون جزءا من صورة العصر الادبية الحديث عن الكاتب والشاعر فالشعر قد تخلف والنثر قد تقدم وهناك اسباب ادت الى هذا التخلف وذاك التقدم .

ولا ينسى المؤلف موقف النقاد من السرقات الشعرية كما لا يهمل موضوع المعارضات الادبية وحل المنظوم ، في الشعر . وكاني به بعد ذلك كله يتساءل : الم يات العصر بجديد في ميدان الشعر ويكون الجواب ـ هناك ما يمكن ان ندعوه جديدا ، وهذا الجديد يتجلى في التوليد والانتزاع ونقل المعنى من غرض الى غرض ، والتضمين والاقتباس والاستمداد والالغاز ... هذه منافذ التجديد، ان صح ان نسميها منافذ . او ان نسمي مثل هذه الاعمال تجديدا .

لا اغالي حين اقول ان الكتاب صورة كاملة للنقد والادب في القرن الثامن ، جمع مؤلفه بين دفتيه خلاصة هامة لاراء كبار ادباء العصر واحكامهم الادبية ، عرضها عرضا دقيقا وناقشها مناقشة واعية ، ولم يكن موقفه موقف غيره من المؤلفين الذين يكتفون بالسرد متنصلين من تبعات المناقشة والرفض والتأييد ، فالاستاذ سلطاني على الرغم من اعجابه الشديد بذوق الصفدي قد يقف منه في بعض الاحيان موقف الناقد ، يوضح له خاطرة ويناقشه في رأي ويرد عليه في فكرة كما نرى في حديثه عن ذوق الصفدي حتى يبدي اعجابه ببيت الشنفري :

بعيني من امست فباتت فأصبحت ... فقضت امورا فاستقلت فولت

الصفدي هنا يستحسن تكرار الفاء فيفتق الاستاذ سلطاني له اوجها جديدة للاستحسان لم يفطن اليها « ان هذه الفاء روح المشهد كله ، بعثت دفقة الحياة فيه فكأنها خطوات فاتنة الشنفري هذه ولفتاتها وحركات كل جارحة فيها » . وكذلك في فقرة اخرى من البحث ذاته يبدو لي ذواقة اكثر من الصفدي حين يدرك الخطأ الفني في الشطر الثاني من البيت :

اقمنا بها يوما ويوما وثالثا ... ويوما له يوم الترحل خامس

هذا الخطأ ناتج عن عدم فهم الصفدي للمعنى فظن ان الشاعر يريد

سبعة ايام امضاها مع حبيبته فالاستاذ سلطاني يرى ان الايام خمسة « والا فكيف يطوي أبو نواس الايام الاخيرة طيا وهو يريد الاستعراض المتاني المصحوب بالتنهدات كما رأيت ؟! » وهناك امثلة كثيرة تؤكد لنا ذوق المؤلف النامي .. ولكن الموضوعية تجانبه احيانا فيضرب عرض الحائط بآراء الآخرين واحكامهم لا لشيء الا لانها لا تتفق مع هواهولا تتلاءم مع ذوقه . ومثل هذا نجده في تعليقه على بيت المتنبي :

يا بدر يا بحر يا غمامة يا   ليت الشرى يا حمام يا رجل

ان من يمعن النظر في فهم الصفدي لهذا البيت يرى انه لم يجانب التوفيق لانه في تعليله دل على ذوق نام واحسن تعليل تذوقه ، واذا كان في الادب لا يوجد حقيقة ثابتة والمسالة مسالة حسن تعليل ففي رأيي ان المؤلف لم يجانب الصواب لانه احسن التعليل أيضا .

فهل نستطيع ان نقول اذا : ان من عاب على ابن الاثير ميله مع الهوى وقع بالميل مع الهوى حين قعد من ذوقه قواعد اراد فرضها علينا ، فرمى الصفدي بالخطأ ومجانبة التوفيق لانه وجد في كلمة رجل كل معاني الصفات التي عددها الشاعر ، ولذلك ختم بها بيته ؟والحقيقة ان المؤلف لا يستطيع التزام الموضوعية ، مع تعلقه الشديد بها يطالعنا ذلك منذ بداية الكتاب حين نقرأ العرض التمهيدي عن الحياة العامة في العصر المملوكي فنظن انفسنا في ازهى فترة من فترات الحضارة الاسلامية ، وما ذلك الا لان المؤلف اخذ من هذا العصر الجانب المضيء مهملا بقية الجوانب ، حتى لتكاد تطغي صورة المماليك ، في اذهاننا على صورة عظماء خلفاء بني العباس امثال المنصور والرشيد والمامون ... ان مسحة الصدق الناتجة عن النقول الكثيرة من بطون الكتب توهم القارىء ، ولكن هذه النقول تمثل جانبا واحدا سنجد ما يناقضه في تلك الكتب ذاتها لو تحرينا جانب الحقيقة.ولا يخفى على كل ذي عينين ان هذا العصر كان حافلا بالسيئات مليئا بالاخطاء السياسية والاجتماعية .. فلماذا أثبت الاستاذ سلطاني الحسنات ومحا السيئات وما سبب تعصبه لهؤلاء المماليك ؟! انني لا استطيع تعليل شعور الاعجاب هذا الذي جعله عين الرضى عن محل عيب كليلة » .

ان اعجابي بجهد الاستاذ سلطاني كبير وتقديري لتعلقه بالموضوعية لا شك فيه ، ولكم كنت أتمنى أن يظل ملتزما لهذه الموضوعية التي أحبها ، وان يترك لقارئه تقويم الكتاب فلا يقول في المقدمة « اني لأظنها من اوائل الابحاث الشاملة المتانية » ؟ ان تسرعه هذا لم يترك للمعجبين مجالا .

وهناك كلمة اخيرة كنت اود ان أقولها بصوت منخفض ، وأظن المؤلف سيدركها ويتجنب ما يتعلق بها في طبعات الكتاب القادمة هذه الكلمة تتعلق بشيء من التناقض في بعض ابحاثه مثل هذا التناقض نجده في حديث المؤلف عن اسس النقد عند الصفدي ، فبينما نراه في حديثه عن الاساس الثقافي يقول عن العماد : « فاذا لاحظ في النص خطأ يمس حقائق المعركة انكر ذلك ولم يعد يلتفت الى القيم الفنية » نجده في حديثه عن الاساس الفني يقول : « يبدو أن سمو النفس الشعري في النص هو الذي يبعد الناقد الصفدي عن أن يلتفت الى مقياس ثقافي او اجتماعي « فكيف يهمل النص اذا بدا فيه خطأ ثقافي ولا يلتفت الى الخطأ الثقافي اذا راقه النفس الشعري !!

وربما جاز لنا ان نقول ان هذه الهنات لا تغض من شأن الجهد الكبير الذي بذله المؤلف في ازاحة اللثام عن وجه النقد في القرن الثامن الهجري ، واعطائنا صورة تكاد تكون تامة للادب في هذا العصر ، وما استساغته الاذواق من اشكال فنية .. لقد أطلعنا الاستاذ سلطاني على حقائق كنا نجهلها وعرفنا بلفيف من نقاد القرن الثامن ، على رأسهم الناقد الصفدي .

دمشق   سكينة الشهابي

الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل. ل.

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي
٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل. ل. كحد ادنى
في الخارج : ٨٠ ل. ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dic : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

نفاق اليهود

تاليف الدكتور مارتن لوثر ـ ترجمة عجاج نويهض ـ تقديم شفيق الحوت ـ ١٧٤ صفحة ـ منشورات دار الفكر ببيروت

اظن ان الكتب التي كتبت عن اليهود وتاريخهم واتجاهاتهم في حياتهم ، ونظرتهم الى الناس الذين ليسوا من شاكلتهم من حيث الدم والدين ، منذ اول ما عرفوا في التاريخ حتى اليوم ، قد تفوق ما كتب عن اية طائفة اخرى وبجميع لغات العالم ، فالذي كتب باللغات الاجنبية عن اليهود قد يتجاوز عدد ما كتب عنهم باللغة العربية ، على ما بينهم وبين المسلمين من اختلاف ، وما بينهم وبين العرب من عداء قبل ان يظهر الاسلام وبعد ظهوره ، ولاسيما في هذه الحقبة الاخيرة ، ولا احسبني مبالغا اذا قلت انهناك اربعة كتب بين آلاف الكتب كان لها الصدارة فيما كتب عن اليهود ، وكل هذه الكتب الاربعة قد كتبت في ايامنا الاخيرة ، وكل مؤلفيها هم في الطليعة من حيث المكانة العلمية، وسعة الاطلاع ، والالتزام بالقواعد العلمية البحتة فيما يكتبون ، واول هذه الكتب كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون)لمؤلفه المؤرخ الكبير والعلامة الجليل عجاج نويهض الذي قضى وقتا طويلا وهو يبحث عن نشأة الصهيونية ، والوثائق الرسمية التي تسند كل قضية من قضاياها حتى استطاع ان يخرج اربعة اجزاء في جزئين هي الان المرجع الوحيد في شرح قضية الصهيونية وظهورها الى الوجود ، وأغراضها ، ومساعيها لتنفيذ هذه الاغراض منذ ظهور الفكرة لاول مرة في روسيا ، الى انبعاثها في سويسرا ثم تحقيقها تحقيقا كاملا ، وكل ذلك مستند الى الوثائق المثبتة صورها بالزنكوغراف في هذه الاجزاء الاربعة ، لاسيما وقد عاصر المؤلف انبعاث الحركة الصهيونية وخبرها بنفسه وهو بفلسطين ، وظل يراقبها ويتبعها وهو في بلده براس المتن .

وثاني هذه الكتب ، كتاب كتب بالانكليزية للمحامي الجليل والحقوقي الكبير المعروف : هنري كتن وترجمة الكاتب العبقري المجيد وديع فلسطين الى العربية وميزة هذا الكتاب انه يناقش القضية الفلسطينية ، والحركة الصهيونية من طريق الحقوق والقانون مناقشة رجل عالم يستنبط الاحكام من الوقائع والوثائق المختزنة في اضابير وزارة الخارجية البريطانية ، والاحصاءات الرسمية ، التي لولاه لما استطاع احد ان يقف عليها ، ويعرف كيف ضاعت حقوق العرب في فلسطين بالمسعى الذي حققه الصهيونيون بوساطة بريطانيا المؤسسة الاولى لضياع حقوق العرب ، ومساعدة اميركا مؤخرا ، وتفنيد قيام الدولة الصهيونية قانونا .

والكتاب الثالث ، هو كتاب (اليهود والعرب في التاريخ) للعالم الجليل الدكتور احمد سوسة ، وهو اول كتاب يثبت لك من وجهة التاريخ البعيدة عن كل عاطفة ان ليس هنالك صلة بين اليهود وابراهيم الخليل واولاده ، ويسوق لك من الادلة التاريخية ومن التوراة ما يجعلك مؤمنا بان اليهود طائفة جاءت من مصر ، مطرودة ولا يعرف اصلها ، ودخلت فلسطين دخول اللاجئين حتى اذا ثبتت اقدامها وثبت على الكنعانيين الساميين واستولت على بلادهم حقبة من الزمن ، وان ليس هنالك من دليل ملموس غير الادعاء بانهم ساميون ، والكتاب من هذه الناحية ، احدث في عالم التاريخ حدثا كبيرا دعا احدى دور النشر اخيرا ان تقوم بترجمته الى الانكليزية على ما علمت .

والكتاب الرابع هو (نفاق اليهود) الفه بالالمانية مارتن لوثر ناشر البروتستانية في القرن السادس عشر ، على اثر مناقشة جرت بين احد اليهود مع احد المسيحيين في الدين ، الامر الذي حمل مارتن لوثر ان يوجه الى ذلك المسيحي هذا الكتاب طالبا اليه ان يكف عن مناقشة هذا اليهودي وشارحا في كتابه هذا طبيعة اليهود ، ونزعاتهم ، ودسائسهم وكيفية تغييرهم لنصوص التوراة ، وايجاد تشريعات جديدة اودعوها التلمود ، وقد ظل هذا الكتاب شبه ضائع لقلة من تملك نسخا منه بالالمانية حتى اتيح لمؤسسة اميركية ان تقوم بتلخيصه وترجمته الى اللغة الانكليزية على رغم التهديد الذي جوبهت به من اليهود الاميركيين ان هي قامت بترجمته ونشره ، ولما كان كل وثيقة جديدة ، ورأي جديد يخص اليهود والصهيونية لا يمكن ان يفلت من بين يدي المؤرخ العلامة الكبير عجاج نويهض فقد حصل على النسخة الانجليزية وقام بنقلها الى العربية ، وقدمها بالتعريف بلوثر ومن سبقه في دعوة الاحتجاج على الكنيسة الكاثوليكية ، ومن جاءبعده من الدعاة الذين كان اشهرهم في ذلك «كلفن» ، وحقق هذه الرسالة تحقيقا علميا ، وقد افاض عليها شروحا وتعليقات مهمة ، ثم ختمها بترجمة نماذج في وصف اليهود لطائفة من عظماء الرجال كان قد جمعها قائد الجناح الجوي ليونارد يونغ في كتابه المسمى (أفتك من القنبلة الذرية) واورد اسماء بعض الذين ذكروا اليهود ووصفوهم بطبيعتهم امثال شيشرون، وسنيكا، ومارتنلوثر، وفولتير، ونابوليون ، وبنيامينفرنكلين، وفونمولتكه، فضلا عما جاءبهالقرآن الكريم،والانجيل، وفضلا عما قاله النبي محمد صلى الله عليه وسلم في اليهود .

وقد تولى الاستاذ نويهض التعريف بكل واحد من هؤلاء الذين قالوا شيئا عن اليهود ثم نقل اقوالهم .

وحسبنا ان ننقل بعض ما قال لوثر عن اليهود هنا لمعرفة طبيعة هذا الكتاب الذي ظل مجهولا من غير المطلعين من الالمان اكثر من اربعماية سنة .

يقول لوثر في كتابه هذا : « فاعلم يا عزيزي المسيحي ، انهليس بعد الشيطان عدو امر ، واسم ، وامكر ، من اليهودي المحض ولهم في التاريخ ذكر قبيح ، فهم متهمون بتسميم مياه الآبار ، واختطاف الاولاد لاستنزاف دمائهم ثم تقطع اجسادهم اربا اربا من اجل الطقوس (التلمودية) كما حصل في (ترنت) و (بزتسي) وغيرها من المدن ، وليس المهم ان يكون هذا كله او بعضه واقعا صحيحا ، ولكني اعلم علم اليقين ان استعدادهم لارتكاب هذه الجنايات استعداد على طرف التمام على الدوام ، واتيان هذ الامر موقوف على مواتاة الفرصة السانحة ليتنقلوا الى الجريمة سواء في خفية متسترين، ام جهارا وفي وضح النهار فاعلم هذا وتأكده ، وسر وانت يقظ » .

وفي محل اخر يقول لوثر « فاليهود ليس لهم ارض يملكونها كما للامم ، فكيف يسوغ لهم هذا وهم غرباء في بلاد اجنبية » ؟

وينصح لوثر الامراء والحكام بان ياخذوا حذرهم من اليهود ، ويوصي الوعاظ بان ينبهوا في وعظهم الى الاخطار التي يحدثها اليهود، ويقول ان اليهود ابالسة صغار مصيرهم جهنم ، ويعتبر الاطباء اليهود خطرين على الصحة العامة .

وينهي لوثر حديثه قائلا « وبصفتي الوطنية ابتغي ان اتوجه اليكم بهذا التحذير للمرة الاخيرة ، فلا تشتركوا مع هؤلاء الغرباء في شيء يوقعكم في الخطيئة وانتم تعلمون اني اود لكم الخير جميعا من الامراء والرعية » .

وقد قدم لهذا الكتاب الاستاذ شفيق الحوت بمقدمة على ايجازها كانت وافية بالمقصود ، وجاء فيها عن الاستاذ عجاج قوله :

« ومما يعطي الكتاب ابعادا اضافية ، ان ناقله والمعلق عليه رجل عاش مأساة شعب فلسطين منذ بدايتها حتى يومنا الحاضر ..»

ونضيف نحن على ذلك بكل ثقة ويقين ان عجاج نويهض مجاهد من معيار خاص فهو في تتبعه العلمي للصهيونية ، وفيما يقدمه للقراء من حقائق ناصعة عن الصهيونية ومستندة الى الوثائق العلمية، وحماسه العلمي الذي لا تشوهه العاطفة ، انما يقدم خدمة اضعاف اضعاف ما تقدمه كتيبة برمتها في ميدان الحرب ضد الصهيونية،ابقاه الله ونفع به الامة العربية ، وجزاه على مسعاه خير الجزاء ، فهو مفخرة كبرى من مفاخرجيلنا الحاضر .

بغداد ـ كرادة مريم **جعفر الخليلي**

ديـوان صيـدح

ديوان الشاعر جورج صيدح - ٢٨٠ صفحة - قطع صغير (جيب)
الجزء الثاني طبعة جديدة - دار غندور بيروت

الجزء الثاني من الديوان الصغير بحجمه وبلوحاته الجمالية البالغـة (٥١) ، كبيرة جدا لما احتوته هذه اللوحات القصائد ، مـن الصـور التي اخرجتها قريحة الشاعر القومي العربي الكبير ، من المعاني الجميلة كما تخرج الغصون والاوراق والازهار والاثمار من الاشجار الباسقة . وسليقة الشاعر الكبير صيدح الذي التزم برصيد ضخم من وجـدانه القومي العربي ، تجعله لعمود الشعر ، وتوقيع موسيقاه ، واصالـة جزالته ، شانه في ذلك شان المحافظين الذين يتسمون بالابـداع ، ويعتصم الشعر العربي بهم ، وهم قليل في زمننا المنحدر ببعض الانغام والاصباغ الشاعرية الناشزة ، والتعابير الفاسدة ، كقول شاعرنـا الكبير :

صار برجا بابليـا صاخبـا   صخب الاطفال في زفة عيد
جثم البـوم علـى قبتـه   والبغاث استنسرت تحت البنود
كيـف يرضـى ادبي طـائفـه   عشقت كل غريب وبعيـد
أيـن منهـا ادب مستحـدث   من سراب الفكر في اللفظ الشرود
بـربـري الجرس ، غربي الرؤى   اعجمي الروح ، وحشـي البرود
يحمل المجهـر مـن يقرأه   ليـرى جرثوم معنـى في صديد
كلمـا أفلت مـن صدر الدجـى   انشب الاظفار في ظهـر الجدود
ان سالـت الشعب عن محصوله   كنت ، كالطالب حقا من يهودي
شعراء العصـر ، اعـلام الحجى   قطب الاشعاع في الشرق السعيد
انما الشعْـر انطـلاق للـذرى   واندفـاق نحـو اغـوار وبيد
انـه البحـر الـذي امواجه   تتـآلـى حـرة دون جهـود
قـل لمـن يـأنـف من تقليـده   امـن التجديـد تقليـد القرود

والشاعر الكبير العربي الغيور ، حسن السبك ، جيد الطريقة ، يقول على مبنى ومعنى ، وفكر وقريحة ، وروح وضمير . ويرجع هذا الى طبع وسليقة ، وعقيدة وحب ، يضع نفسه في موضعه الشعـري من الحياة . وهو في ذلك كمنبت الزهرة التي لا تزكو زكاءها ، ولا تبلغ مبلغها الا في المشاعر الوجدانية التي تصل عناصرها بعناصر الحيـاة وافية الكمال ، فلا يقطعها عن شيء ولا يرد شيئا عنها .

ولقد تكافات شاعرية الشاعر الكبير تكافؤا ، جعلها تعيش في اكثر من جهات معنوية محدودة ، وارتفع ببعضها بعد ان اعطى كل جهة حقها ، الى ما وصل اليه وحيه وما وسعه جسه العربي الوطني الذي لا يـزال شاعرنا منذ نصف قرن ونيف (متعه الله بالصحة والعمر الطويل) يحيا فيها كل صور الرسم والمعنى ، والمشهود والمحجوب ، في عالمنا العربي الكبير ، ثم في عالمه الانساني . فتبرز صوره الحية بسمتها واشكالها ومعانيها ، بين شعر القلب الخافق ، وشعر الفكر المتامل المتحسس بالجهات المعنوية العربية والانسانية المطلقة .

ولعل من ابرز ما اخرجه من مكنون احاسيسه الوجدانية ، والتزم به التزاما عقائديا ، فكان ولا شك الشاعر الزمني في هذا النهج القومي العظيم ، فلسطينيته التي يقول فيها :

يـا لهيـب الرؤى ، ولولاك ما عا   شـت فلسطين في الضمائر حية
لا عدمنـاك يا شعـاع عيون الغيـ   ـب يـا فاتح القلوب العصيـة
نحن قوم علـى الكريهة طبنـا   ولمعنـا مـا شـاءت الالمعيـة
مـا ترانا كفحمـة الجمر مست   شـرر النـار فاستحالت سنيه
كـم حبسنـا دموعنا وسفحنـا   دمعـة الكرم هـزاء بالمنيـه
مـا انتشينـا بصبـوة ومـدام   وانتشينا بغضبـة مضريـة
لـو ترامت ثاراتنا في جحيـم   لركبنـا الـى الجحيم مطيـة
كتبـت آيـة الفـداء علينـا   وعلـى اللـه ، والفداة البقية

ومن فلسطين الهاجس الاول من عبير روحه ، وشعاع نفسـه ، ونضج عواطفه في قصائد (عام الشهداء) و (غارات اسرائيـل) و (الجنوب اللبناني المصلوب) و (الغراب الغازي) و (القمـر المسخر) و (بين صبا نجد وزعزع لبنان) يتحسس شاعرنا الاصيـل بوطنه السوري العربي ، مهبط ولادته ونشأته ، فنراه يمده بالعديد من قصائده الوجدانية ومحبته الروحية ، فيقول من قصيدة (بردى) :

حلمت اني قريب منـك يا بردى   ابل قلبـي كما بل الهشيم ندى
ونصب عيني مـن البلدان ابدعها   سبحـان من حط فـي جناته بلدا
دمشق ، اعرفها ، بالقبة ارتفعت   بالمرجة انبسطت ، بالشاطىء ابتردا
بالطيب يعبق في الوادي ، واطيبه   في تربة الارض غذاها دم الشهدا

ومن فلسطين وسوريا ، يتجه الى الوطن العربي الواجد الموحـد الاكبر ، فينتقل من قطر الى قطر ، وفي يـده مشاعر فلسطينه ومحاسن سوريته ، ومفاخر عروبته ، فيقول من قصيدة (القلب التائه) :

يا قوم . هذا القلب صنعة ربه   لا سلعـة الحكـام والاسيـاد
واهـا لـه من مستهـام رائع   بيـن الجزيـرة والكنانة غـاد
ان صعد الزفرات فـي ام القرى   سمـع القلوب تئـن فـي بغـداد
سالـت من الجنب الطعين دماؤه   أفـلا يهـب لثـأره ويفـادي
كتب الجهاد عليه ، لم يهدأ لـه   نفس ولـم يخفق لغيـر جهـاد
ناديتـه عبـر البحـار ولم ازل   بعـد الرجوع الى الديـار انادي
ما كنت ادري أن قلبـي حـاضر   فـي صدر كل موحد بالضـاد

وبعد هذه الجهات الثلاث ، تبدو على الشاعر الكبير زفـرات اللهفة والحنين في الجهة الرابعة عن شعره المهجري ، فيرسل لهفـة نفسه في ابداع نادر من السحر بدنيا الهجرة واهلها وحوادثها ، فيقول في قصيدته (يا رب هونها) :

أيعود للوطن الغريب النـائـي   يـا رب هونهـا على الغـربـاء
حتى متى يبري الحنين صدورهم   والعـام يتلو العام دون لقـاء
ارواحهم حلقت « بمرقـد عنزة »   بالبيـت شط فصار بيت الداء
وكانهم اخذوا علـى طول النـوى   عهـدا لانفسهم بطـول بقـاء
لـو لم يكن بيـن الديـار وبينهم   غـير اجتياز البحر والبيـداء
لترحلوا ، لكـن دون رحيلهـم   دنيـا مـن الاطمـاح والاهـواء

فلرب مثر ما جنى من ماله　　　غير احتشاد القوم يوم رثاء
جمع الموارد ، لم يردها ، خائفا　　　ضن السنين المقبلات بماء
ويود لو جذب السراب لداره　　　ان لاح يوما في ديار ظماء
يفدي بماضيه وحاضره غدا　　　اغد يباع ويشترى بفداء
خسر اللباب من الحياة ، وليس في　　　كسب القشور تفاضل الاحياء

وبعد هذه الجهات الحياتية المعنوية في اناشيد شاعرنا الكبير ، ينطلق باجنحته الانسانية في عالم من الصور الجمالية في الكون الفسيح . فنراه في قصيدته الطويلة على « جبل البلور » يتدفق برقيق الشعور الفياض ، تدفق البحر الزاخر ، بالالهام اللطيف ، والجرس الجميل ، ومنها يقول :

طاطىء الراس واستلم قدميا　　　انت يا واصل الثرى بالثريا
وافتحي العين يا نجوم تريني　　　بشرا طاول النجوم سويا
لي هذي الآفاق يا رب فضل　　　منك ، لا فضل للجبال عليا
أنت صورتني أبيا لاحيا　　　فوق دنياي او أموت أبيا

هذا ما اخترته من الجزء الثاني من ديوان الشاعر المعلم المؤمن العربي جورج صيدح ، وهو اختيار موجز كنت اطمح الى ما هو أبعد مما قدمت بين يدي القارىء الكريم . وان مما يبهج نفسي ان اتحدث عن هذا الشاعر القومي العربي الذي ملأ اسماع طفولتي بوطنياته العربية في الربع الاول من القرن العشرين . وازداد تقديري له واحترامي الوافر ، ان جورج صيدح وعروبته الصادقة، تمثلان كائنا حيا ووحدة روحية لا تتجزأ . وتتجسم هذه الوحدة اكثر فاكثر عندما نقرأ شعره ، فنتعرف عليه محبا كبيرا ، ومعلما مرشدا ،تعيش الآمال الوطنية دائما في خفقات مشاعره ، وبنور ايمانه الذي يسعى بين كل سطر من سطور أبيات قصائده الوجدانية الجميلة .

طرابلس ـ لبنان　　　محمد اديب غالب

•

شعراء من اميركا الجنوبية

ترجمة سعد صائب ـ ١٨٦ صفحة من القطع الكبير ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية ـ دار الحرية للطباعة والنشر ـ بغداد

يعتبر الاستاذ سعد صائب بحق النافذة التي يطل منها القراء العرب على ادب الغرب ، فمن يستعرض اسماء كتبه المترجمة ، يجد انه اهتم بتسليط الاضواء على الادب الهولاندي والبلجيكي والفنلندي المجهول لدى اكثرنا ، بعدما قدم لنا دراسات قيمة ممتعة في كتابه « شعراء رمزيون وشعراء معاصرون » ، تحدث فيه عن بودلير وفرلين ورامبو ومالارميه ومورياس والبير سامان ، وسولي برودوم ، وبول فاليري وبول جيرالدي وبول ايلوار وغيرهم ... وهو اليوم في كتابه «شعراء من اميركا الجنوبية » يسير على النهج نفسه ، يترجم حياة الشاعر ، ثم يلحق الترجمة بباقة من اشعاره المختارة .

اهمية هذا الكتاب الجديد تاتي من انه عرفنا بطائفة كبيرة من شعراء اميركا الجنوبية ممن نظموا بالاسبانية والبرتغالية في الارجنتين وتشيلي وفنزويلا والمكسيك والبرازيل .. وقد قسم الكتاب الذي قدم له الدكتور احمد سليمان الاحمد ، الى قسمين ، خصص القسم الاول للشعراء الذين نظموا بالاسبانية ، والقسم الثاني للشعراء الذين نظموا بالبرتغالية .. واكثرهم مجهول بالنسبة لنا ، ليس لانهم ذوو شهرة محلية محدودة ، بل لانهم لم ينقلوا الى ادبنا العربي ، ولعلنا لم نسمع الا باثنين من جمهورية تشيلي هما غبريلا ميسترال ، التي نالت جائزة نوبل للآداب عام ١٩٤٥ ، وبابلو نيرودا الذي راح ضحية الانقلاب الاخير ..

ويشير الاستاذ سعد في المقدمة الى هذا الجهل بقوله « ما انفك الادب في اميركا الجنوبية مجهولا لدى قراء العربية بعامة وادبائها بخاصة ، لا نخالهم اطلعوا عليه او اتصلوا به ، او عرفوا مكنونه ، و سايروا تطوره خلال عهود استقلال هذه القارة الشاسعة .. » والسبب بسيط ، هو ان اكثرنا لا يعرف اللغتين الاسبانية والبرتغالية ، بينما يعرف الفرنسية والانكليزية ولذلك كان اتصالنا بالادب الذي كتب بهما وثيقا ، فضلا على ان من ترجموا عنهما لا يحصيهم عد ..

لقد نقل الاستاذ صائب الكتاب عن اللغة الفرنسية ، الامر الذي جعل النصوص الشعرية تبعد شيئا قليلا عن الاصل الذي وضعت فيه، ولو نقلت عن اللغة الام مباشرة ، لتمتعت بنصيب اوفر من الدقة . ومهما يكن من امر ، فان الكتاب يبقى فريدا من نوعه ، اذ ضم اثنين واربعين شاعرا ، منهم ثمانية وعشرون نظموا بالاسبانية ، واربعة عشر نظموا بالبرتغالية . وبما ان المترجم لم يطلع على اي من اللغتين، فقد استعان بمدير المركز الثقافي الاسباني بدمشق الاستاذ خوليان غوميث اثكييردو لضبط اسماء الشعراء وطريقة نطقها ولفظها .. كما راجع الكتاب كل من الدكتور احمد سليمان الاحمد الذي يجيد الفرنسية والاسبانية ، بحكم اقامته في الارجتين حينا من الزمن ، والاستاذ عبد المعين الملوحي الذي يجيد الفرنسية ايضا ، ناهيك عن اتقان المترجم الفرنسية ، وتمرسه بالترجمة عنها زمنا طويلا ، في عدد من مؤلفاته ... وهكذا يستطيع القارىء ان يطمئن الى دقة الترجمة كما لو ان الكتاب نقل عن لغته الاصلية مباشرة .

لا استطيع ان انقل للقارىء جميع الاسماء التي وردت في الكتاب لكثرتها ، ولانها غريبة عن مسامعنا ، لم تالفها آذاننا بعد ، لاسيما ان الاسم يتالف احيانا من اربعة اجزاء كالشعراء البرازيليين : ليئاوو دي فاسكو نسيلليوس ، وانطونيو دياس تافاريس باستوس ، وكارلوس دروموند دي اندرادي ..

والذي قرأ من قبل للاستاذ سعد صائب لا شك يعرف قدرته الفائقة على صياغة معانيه في قوالب من الالفاظ العربية المتينة والواضحة بآن واحد ، يتخير الفاظه كما يتخير الصائغ الماهر ادق الجواهر ، بمنتهى الاناة والبراعة والحذق ، وقد اطلعني مرة على بعض مسوداته ، واراني كيف ينقح ويحكك ، ومدى الزيادة والحذف ، مع حرصه على الفكرة الاصلية ، حتى تاتي كتاباته متكاملة البنيان ، وترجماته صورة طبق الاصل ، لا تشوبها شائبة .

دمشق　　　عيسى فتوح

•

ابومصطف وقصص اخرى

تاليف أمين فارس ملحس ـ ١٤٥ صفحة من الحجم المتوسط ـ منشورات دائرة الثقافة والفنون ـ عمان ١٩٧٣

فرض علي كتاب «ابو مصطف وقصص اخرى» ان أقرأه قراءة متواصلة من اقصوصته الاولى « ابو مصطف » الى اقصوصته الثانية عشرة « دنيا » ، حتى ظننتني من اسرة « المجذوب » لشدة جذبي اليه .

لقد احسن الاستاذ محمود سيف الدين الايراني احسانا عظيما في تقديمه هذا الكتاب النفيس ، وجاد في اعطاء القارىء نظرة عامة شاملة ، وصدق في قوله ان المؤلف يحكك اقاصيصه ، التي اقترح تسميتها ب « الاقاصيص الحولية » لان مجموعة الاستاذ أمين الاولى « من وحي الواقع » صدرت عام ١٩٥١ ، وصدرت مجموعته الثانية

هذه بعد ٢٢ عاما ، وليس فيها سوى اثنتي عشرة اقصوصة ، اجاد في سبكها وحوارها وتنقيح لغتها وحسن اختيار الفاظها ، ولا عجب في ذلك فقد عرفته طالبا نجيبا قبل كذا وكذا عاما (دعونا من كشف الاستار عن الاعمار) ، وكان بين طلاب الطليعة في الانشاء والادب .

اما رأيي في الاقاصيص فهو كما يأتي :

« ابو مصطف » اقصوصة واقعية ومعقولة ، وتسلسل حوادثها طبيعي .

و « الاسطر الحمراء » وصف حي رائع لمأساة دير ياسين الفادحة التي عشناها معا في القدس .

وبرع المؤلف في وضع خاتمته لاقصوصته « هل رأيت احمد » ، اذ ترك فيها مجالا فسيحا للقارىء يتصور فيه ما يمكن ان يجري لاحمد .

و « طريق الالام » و « طريد » كان اسلوب السرد فيهما رائعا، وخاتمة اولاهما جاءت محزنة ، لان اقاصيص النكبة الفلسطينية ، كانت قبل كتابتها بحديد الفداء وجحيمه لا تكتب الا بالدماء والدموع .

اما اقصوصة « وسط الضجيج » فارى ان الواقع والعقل لا يقبلانها ، واذا حدثت وقائعها فذلك نادر جدا ، ويستحسن ان لا يلجأ القصاص الى الحوادث النادرة ، لكي تستطيع نفس القارىء الاندماج فيها .

واقصوصة « رأس على الحطب » شائقة ، ويا ليتكم لحقتم بالطفل لاطعامه رغم انفه .

ومن يرد التمسك بالوطن وتربته ، عليه ان يقرأ اقصوصة « الصرة الصغيرة » لان فيها دروسا وطنية خالدة .

واقصوصة « شموع العمر » محكمة النسج ، تشدك اليها من اول كلمة فيها الى اخر كلمة . وقد احسن المؤلف بانقاذ بهية من خنجر ابيها المجنون في اقصوصة « السرداب » .

وظهرت خفة روح قصاصنا النابه في الاقصوصة الواقعية «فئران وعجين » ، ففيها حس رهيف ولها ظل خفيف .

اما خاتمة الاقاصيص « دنيا » فهي عادية في حوادثها ، ولا ترقى الى مستوى اخواتها .

ومن حسنات هذا الكتاب لجوء مؤلفه الى الحقائق النفسية احيانا لوصف شخوص اقاصيصه واعمالهم كما نرى في اقصوصته « هل رأيت احمد » ومنها براعته في التعبير بصورة واضحة جدا كنفسيته الخالية من التعقيد ، وهذه تظهر في الاقاصيص كلها . والفقرة الاولى من اقصوصته « راس على الحطب » ذات اسلوب رائع في السرد .

ولا بد لي في الختام من ابداء الملحوظات البسيطة الاتية :

اقترح ان يصبح عنوان الكتاب : «ابو مصطف واقاصيص اخرى» بدلا من : وقصص اخرى ، لانها قصص قصيرة .

وهنالك اخطاء مطبعية قليلة ، علينا ان نقضي عليها في مؤلفاتنا العربية ، كما قضى الغربيون على اخطائهم المطبعية قضاء مبرما .

وهنالك اخطاء لغوية بسيطة كقول المؤلف :

بفارغ الصبر (وردت غير مرة) بدلا من : بصبر نافذ .

جسمي المضمخ بالعرق (وردت غير مرة) بدلا من : جسمي الذي يغمره العرق ، لان الفعل (ضمخ) خاص بالطيب كما يقول الصحاح والاساس والمغرب واللسان والمصباح والقاموس وابن سيده والتاج . واذا صح تضميخ الجسد بغير الطيب ، فبشيء ذي رائحة زكية ، لا بالعرق ذي الرائحة الكريهة .

ويصرخ الصبية اناشيدهم ، بدلا من : ويطلق الصبية اناشيدهم مدوية. فرأيت شخصا اظنه ، بدلا من : ظننته ، وعديدها ، بدلا من وكثيرها . ووجه امه المعذب ، بدلا من : المعذبة ، لان الام هي المعذبة لا الوجه . وارتسمت على محيا امه ، بدلا من : وظهرت . والعريس بدلا من : والعروس . ولفت نظري ، بدلا من : واسترعاه . وبلغ درك الدرجات ، بدلا من : انتهى الى آخرها ، او بلغ آخرها واستشعر ارتياحا ، بدلا من : راحة . واثناء ذلك ، بدلا من : وفي اثناء ذلك .

واشهد في الختام ان هذه المجموعة من الاقاصيص هي من المجموعات القليلة الرائعة التي اعجبت بها سبكا ، وخيالا ، وحوارا ، ولغة ، ووطنية .

فللمؤلف الاديب تهنئتي القلبية الحارة ، والى اللقاء في مجموعته القصصية الثالثة ، قبل ان يضمني صديقي اللدود عزرائيل الى مجموعته .

محمد العدناني

•

دير الزور حاضرة وادي الفرات

آخر كتاب للبحاثة المرحوم الاستاذ عبد القادر عياش

هو كتاب : دير الزور حاضرة وادي الفرات في كتابة كتاب عرب واجانب : ويضم ٦٨ صفحة من القطع الكبير طبع عام ١٩٧٤ ولا ذكر لاسم المطبعة جمع فيه ما قاله بعض الكتاب الذين زاروا دير الزور في وصفها والتنويه بها وهو عبارة عن وثائق تاريخية مفيدة وصدره المؤلف بمقدمة جيدة وقد اهداه الى قبل وفاته باسبوع رحمه الله واجزل ثوابه لما قدم في حياته من خدمات جلى لوطنه ولاسيما لوادي الفرات فانه لم يفتأ يبذل جهوده الجبارة في احياء تراثه الشعبي والاشادة بتاريخه ومعالمه وآثاره ومآثر ابنائه قديما وحديثا والتعريف باهميته جغرافيا واقتصاديا وحضاريا وعمرانيا ويصدر الكتاب تلو الكتاب في هذا الشأن حتى توفاه الله فهو بحق ابن الفرات البار النجيب اذ عاش مدى عمره يؤرخ له ويفتخر به فلا غرو ان يفتخر وادي الفرات وابناؤه به وقد انشأ في مدينته دير الزور مجلة دعاها (صوت الفرات) دامت زهاء ثلاثين عاما وهي تخدم وادي الفرات بجد وثبات واخلاص دون ان يتوخى فائدة مادية بل كان يصدرها ويصدر مؤلفاته العديدة القيمة بنفقته الخاصة دون اية مساعدة من احد .

وكان لي صديقا عزيزا وزميلا كريما في معهد الحقوق بدمشق وقد تعارفنا وتآلفنا منذ ان نفت سلطة الانتداب سائر اسرته الى بلدي جبله في الثورة السورية عام ١٩٢٥ وكنا في ريعان الصبا .

تغمده الله برحمته واسكنه فردوس جنته . وكنت اعددت كلمة غير هذه الكلمة فلما فوجئت بنعيه بدلتها وهذه هي الابيات التي ختمت بها كلمتي الاولى :

يا اخا الود والولاء الوثيق ... انت اوفى اخ واصفى صديق
لك ازهى الاسفار في وصف آثا ... ر الفرات الطامي المياه الطليق
وادق الفنون للشعب في ار ... باعه الواسعات ذات الشروق
فتقبل مني عبير التحايا ... كشذا العطر يا ابا فاروق

وهذه ابيات قلتها على عجل في رثائه :

عفت دنياك يا ابا فاروق ... وتخلصت من عناها المحيق
وتركت الذكر الجميل خلودا ... لك بين الورى بود وثيق
كم صنيع مفضل وجليل ... رحت تسديه للتراث العريق
ولوادي الفرات اخصب ربع ... مشرق الوجه بالبهاء انيق
فجزاك الاله خير جزاء ... يا صديقي ويا اعز رفيق

جبله — سورية

رشاد علي اديب